الفصل السادس

الإسلام في الغرب

جاك نيرنك:

لنتناول أصعب موضوع تواجهه الأقلية المسلمة التي تعيش في الغرب، في فرنسة مثلاً هناك أربعة ملايين مسلم أغلبهم من المغرب العربي، وفي ألمانية هناك ثلاثة ملايين مسلم أغلبهم أتراك، إن تداخل الثقافات والعولمة سوف يزيدان في حجم هذه الجالية داخل المجتمع المسيحي، على الرغم من أن أغلبية المسيحيين مرتدون، أو لا أريون أو عديمو الاهتمام، سوف يواجه المسلمون مصاعب لم يواجهوها من قبل، ألا وهي العيش في مكان آخر يختلف عن أوطانهم، سوف يصعب عليهم تطبيق متطلبات دينهم داخل مجتمع تحكمه قوانين مدنية، سوف يكون من الصعب ممارسة دينهم الصارم وسط مجتمع بلا دين، بإمكانك ذكر بعض البلدان التي توجد بها مثل هذه الجالية والمشكلات المطروحة.

لنبدأ مثلاً بفرنسة.

طارق رمضان:

هناك ملاحظة مبدئية أريد إبداءها لأنني سمعت كثيراً مثل هذا التحليل الذي تقترحونه، الذي لا يُماشي الواقع التاريخي، الكل يدّعي

أن الوضع الذي تعيشه الأقلية المسلمة في الغرب هو وضع جديد، لكن هذا الوضع موجود منذ القدم وتم طرحه باستمرار عبر التاريخ سواء في إفريقيَّة أو في آسية، الكثير من المفكرين المسلمين تعرضوا لهذا الواقع الذي يعيشونه في مجتمعات لا يشكلون الأغلبية فيها.

في الهند مثلاً ذهب تفكيرهم التشريعي إلى أبعد حدود وبصفة إيجابية أيضاً.

لنرجع إلى الماضي القريب أي إلى الأربعينيات أو الخمسينيات حيث تضاربت آراء المودودي والندوي حول هذا الموضوع.

جاك نيرنك:

سوف أقاطعك عند هذه النقطة بالذات، إن تقسيم المستعمرة البريطانية سابقاً بين باكستان والهند كان نتيجة بعض المشكلات التي ظهرت بعد الاستقلال مباشرة.

طارق رمضان:

هذا صحيح لكن ما أردت توضيحه أولاً هو موقف المثقفين تجاه وضعية هذه الأقلية المسلمة، وضعية غير جديدة بل قديمة قدم التاريخ الإسلامي، لقد فكر الكثير من العلماء في هذا الموضوع وحاولوا إيجاد الحلول لكل هذه الأسئلة المطروحة.

obeikan.com

* الوضع الجديد داخل دول القانون

طارق رمضان:

لكن الوجود الإسلامي في الغرب اليوم يتسم بالجدية والغرابة في آن واحد، سواء كان ذلك في أمريكة أو في أوروبة، نحن نعيش في دول يسودها القانون لذا من الضروري التفكير في وجودنا داخل هذه الدول، وما هو المطلوب منا للإسهام بصفة فعالة في بناء هذه المجتمعات، ولا يجب لفت الانتباه إلى أن الوضع يختلف في هذه الدول في فرنسة مثلاً حيث توجد أكبر جالية مسلمة تقوم فرنسة بإدماجها بطريقة تختلف عن إنجلترة وبلجيكة والسويد وألمانية.

يزداد هذا الاختلاف حسب نوعية السكان المعنيين؛ لأن تاريخ وثقافة الجالية المسلمة القادمة من المغرب العربي تختلف عن تاريخ وثقافة الجالية الهندية والباكستانية الموجودة في بريطانية، وكلتاهما تختلفان عن ثقافة الأتراك الموجودين بكثرة في ألمانية، لذا يجب التفكير في هذا الموضوع بصفة عامة مع الأخذ بعين الاعتبار هذه الاختلافات.

من جهة أخرى من الخطأ النظر إلى هذا الموضوع من الجانب الديني أو الثقافي فقط ، ومن الخطأ أيضاً معالجته ببساطة.

هناك ثلاثة مستويات لتحليل هذا الموضوع، الأول يخص الهجرة وقوانينها، وهذا وحده يتطلب دراسة خاصة تأخذ بعين الاعتبار نوعية المهاجرين، يجب فرز كل المشكلات المتعلقة بهؤلاء المهاجرين بوضوح ومراعاة تطور هؤلاء الوافدين.

أظن أنه من الخطأ محاولة اختصار الطريق لاحتواء هذا الموضوع وفهمه، وإلا سيبقى الصراع قائماً، وتبقى الأفكار القديمة سائدة، أي إن الصراع صراع ديني وصراع حضارات.

لكن الوضع معقد أكثر مما نتصور؛ لأن الموضوع موضوع اجتماعي واقتصادي في الوقت نفسه، يضاف إلى ذلك الجانب الديني والثقافي بطبيعة الحال.

أما الشق الثاني من التحليل فيجب أن يهتم بالمحيط الذي يعيش فيه المسلمون، وكيف يتصورونه مع أنفسهم، عبر تحليل معمق يتضح أن إدراكهم وتطورهم قد تغير بمرور الأجيال، فالمهاجرون الأولون كانوا يعدون أنفسهم كعابر سبيل، وشيئاً فشيئاً تغير كل شيء لأن أبناءهم يشعرون أنهم أصبحوا أوروبيين في بلدهم وينتمون إلى المجتمع الذي يعيشون فيه ويعرفونه، لا شيء في ذاكرتهم يذكرهم بالغربة ووجهتهم تغيرت بصفة طبيعية.

أما الشق الثالث من التحليل فهو النتيجة المباشرة للشق الثاني من التحليل، بما إن نظرتهم للمحيط الذي يعيشون فيه تغيرت وبما إن نظرتهم (عابري سبيل) تغيرت أيضاً، يجب مراجعة الكتابات المقدسة والتفكير في التأقلم مع الأوضاع القانونية السائدة، لذا يجب التفكير في الاندماج وفقاً للهوية للمحافظة على الشرف في الوضع الجديد، ووفقاً للقانون لتحديد نوعية العلاقة التي ستربطهم بالبلاد الجديدة وفقاً للقوانين الشرعية.

كما يجب أن يكون الاندماج اجتماعياً أيضاً لتحديد ما هو مطلوب ليصبحوا مواطنين حقيقيين ليكون اندماجهم اندماجاً كلياً، والمقصود بكلمة (اجتماعياً) هو المفهوم العام لهذه الكلمة بما في ذلك مشاركتهم في العمل السياسي، والعمل الاقتصادي، بمعنى آخر يحتوي هذا الشق على الهدف الأساسي المنشود: كيف يمكن المحافظة على دينهم وكيف سيتم تطورهم في هذا الوضع الجديد والمحافظة على عقيدتهم في الوقت نفسه.

جاك نيرنك:

لنناقش إذاً هذه المستويات الثلاثة المتتالية:

* ثلاثة مستويات للاندماج

جاك نيرنك:

الشق الأول من التحليل يشير إلى صعوبة اندماج الجالية المغاربية المقيمة بفرنسة للظروف القاصية التي تم استقدامهم أو قدومهم فيها، أغلب هؤلاء عمال يفتقرون إلى أي تكوين مهني، لذا فهم مستغلون من طرف أرباب العمل ويتقاضون أجوراً زهيدة وأغلبهم يسكنون بيوتاً لا يقبل بها أي مواطن فرنسي، فهم يتكلمون لغة غير الفرنسية، ولا يتقنون اللغة الفرنسية جيداً، ومنهم من لا يفهمها أصلاً، وهذا ما يميزهم عن بعض الجاليات الأخرى المقيمة بفرنسة، من أقدم الجاليات المهاجرة الجالية الإيطالية التي انصهرت في المجتمع الفرنسي بسرعة واندمجت حتى الذوبان، حتى إن الفرنسيين أنفسهم أصبحوا لا يميزون بين الفرنسي والإيطالي.

obeikan.com

فالكثير لا يعرف أن الممثل الكبير إيف منتون وكولوش هما أصلاً إيطاليان، والإيطاليون قريبون من الفرنسيين، لا سيما وهم يتكلمون لغة لاتينية. البولنديون أيضاً اندمجوا اندماجاً كلياً، هؤلاء قدموا إلى فرنسة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية بعد أن طردتهم القوات الروسية، كثير من المجريين هربوا من بلدهم سنة 1956م وجاؤوا إلى فرنسة البلد المفتوح للهجرة على مصراعيه؛ لأن فرنسة بلد المهاجرين أصلاً، هناك إحصائيات فرنسية تقول إن كل واحد من أربعة فرنسيين له جد غير فرنسي.

أغلب المهاجرين الذين قدموا من أوروبة الذين يدينون بالديانة المسيحية تأقلموا وانصهروا بسرعة، والبعض منهم أصبح ينتمي إلى الطبقة السياسية المرموقة، بلا دور مثلاً من أصل أرميني، أما بنياتوكسي فهو من أصل بولندي، وساركوزي من أصل مجري، أما المهاجرون المغاربة فقد تعطل اندماجهم بسبب تمسكهم بشعائرهم الدينية.

لقد حوّلت فرنسة (العلمانية) إلى دين مناهض لأي دين آخر غيرها، فرنسة هي البلد الوحيد الذي أهان البنات المتحجبات، في كثير من الدول الأخرى لم يلاحظ أهلها أن هناك متحجبات بالرغم من وجودهنَّ بكثرة، هذا ما يدل على أن الاندماج تحكمه عوامل دينية بفرنسة.

طارق رمضان:

طبعاً العامل الديني جعل الأمور أكثر تعقيداً ولكن قبل أن نوجه الاتّهام إلى العوامل الدينية لنأخذ بكل موضوعية بعض العوامل الأخرى، سوف تتضح الأمور بسهولة إذاً رجعنا إلى بعض الأشياء البسيطة.

إن وجود المسلمين كما نراه اليوم هو أمر حديث، فأغلبهم قدموا منذ أربعين، خمسين سنة أو ثمانين على الأكثر، إذاً عددنا أن الاندماج يتم في مدة معينة، فنصف قرن غير كاف لاندماج هذه الجالية المسلمة القادمة حديثاً، بما إننا تكلمنا عن الجالية الإيطالية والبولندية يمكن أن نضيف إليهم الجالية الإسبانية والجالية البرتغالية، هؤلاء اندمجوا بعد مرور أجيال وليس من السّهل على الجالية المسلمة الاندماج في مدة زمنية قصيرة خاصة أن العامل الديني زاد الأمور تعقيداً.

وماذا حول الجالية البروتستنتية والجالية اليهودية؟ كم من جيل مرّ على هؤلاء حتى أصبح (العيش معاً) ممكناً.

لنتذكر ولا ننسى أن هذه الظاهرة حديثة العهد، هذا سوف يساعدنا على تقويم هذا التطور الكبير الذي حصل على عقلية الجالية المسلمة عبر السنوات خمسة عشرة الأخيرة، فهذا مؤشر يدل على أن هناك تطوراً أكبر سوف يحصل في المستقبل القريب.

لنتذكر أيضاً هذا الحدث المهم: فالجالية المسلمة التي قدمت إلى فرنسة لأسباب اقتصادية كانت مجردة من أي مقوّمات وفقيرة، وغير مثقفة، فكانت ردة فعلها الانكماش على نفسها والدفاع عن النفس والعيش في عزلة تامة عن هذا المجتمع الجديد الذي لا يولون له أي ولاء ولا انتماء، فيوم من الأيام سوف يغادرون هذا البلد، فالكثير منهم تأكد بعد عشرين أو ثلاثين سنة أن حياتهم وحياة أولادهم ومستقبلهم هو في أوروبة، هذا الإحساس كان صعباً ومؤثراً ومستمراً.

المهاجرون الأوائل لم حاولوا فهم الأشياء على واقعها، ولا حتى الانفعال مع المحيط الذي يعيشون فيه.. كان همهم الوحيد هو الدفاع عن النفس لأن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية سيئة، وهذا ما زاد في تهميشهم الذي يعدونه شيئاً طبيعياً، هذا الفوج الأول من المهاجرين يفتقر إلى وسائل الحوار والمناقشة ولا يرغب حتى في إجراء ذلك، لا شيء يجبرهم على ذلك لأن نمط حياتهم لا يحتاج إلّا إلى الحذر والتخفّي، وهل هناك مفر آخر؟

شيئاً فشيئاً بدؤوا يبنون المساجد، ويستقدمون عائلاتهم، وكبر الأولاد، واختفت ظاهرة الحذر، والتخفي، وبدأوا يظهرون في الواجهة، وهنا بدأت المشكلات مع الإسلام: اختفت عزلة الأمس، وأصبح المسلمون يطالبون بمساجد لأداء شعائرهم الدينية ومقابر إسلامية ومسالخ للذبح الحلال، بالإضافة إلى تمّيزهم بملابس إسلامية، وهنا بدأت المشكلات تتفاقم.

كان الجميع يعد هذه المطالب دليلاً على أن هؤلاء المسلمين يرفضون الاندماج، بينما هؤلاء يعدون ذلك عكس ما يتصوره غيرهم، كل هذه المطالب صادفت شعورهم بوجوب الاندماج الصّريح، أو الضّمني، ومحاولة العيش هنا في بلدهم الجديد، للإجابة على ظروف حياتهم، وتقرير مصيرهم، كان لا بد من اختيار نمط أفضل لحياتهم بوصفهم مسلمين في أوروبة الجديدة، فهي مجرد خطوة أولى، وتعهد للاندماج الكامل، لذا يجب أن نتذكر هذه الأحداث.

يجب أيضاً لفت الانتباه إلى ما يلي: عندما يتقابل شعبان مثل ما وصفناه هنا فما يحدث من توتّر ومشادّات شيء طبيعي جداً، يجب مواجهة المشكلات بوعي ورفض أي تصرف يتسم (بتصرف الملاك) من أي كان هذا أو ذاك، فلنترك الشعبين يتعارفا ويتحاورا ويرسيا الثقة بينهما، إذاً أردنا أن تسير الأشياء بسرعة ربما تراجعنا وخاب أملنا لعدم تحقيق ما كنا نرغب أن يتحقق، سوف نصبح مسؤولين عن المرارة التي سنتجرّعها، والشك الذي راودنا عند بداية مهمتنا والشغف الذي كنا نتمسك به لتحقيق هذه المهمة.

يجب أن نبقى واقعيين ونأخذ بالاعتبار عامل الوقت، وتطور الشعوب المعنية، وزوال الخلافات التي لا يتحمّل مسؤوليتها هذا أو ذاك، يجب التحلي بشيء من الحكمة، لأنها تذكرنا بالأشياء البسيطة وتمنعنا من البحث عن المذنب عند معالجة مشكلات إنسانية، إنسانية بحتة، أبسط المسائل الإنسانية، مسائل معقدة وحساسة جداً.

يجب النظر إلى المكتسبات التي قد تكون كثيرة بلا شك، فالأجيال الجديدة كالجيل الثاني والثالث والرابع بلغت مستوى ثقافياً مهماً وأصبحت يتفاعلون وأصبحوا يشرحونه ويقولونه مع المحيط الذي يعيشون فيه ويشعرون أن هذا المحيط هو محيطهم، فهذا ما تشرحه وما تقوله، فهذا الشعور جديد وموجود ويبشر بمستقبل آمن خاصة إذاً اخترنا ولجأنا إلى لغة الحوار البناء وتحمل المسؤولية، هناك من المكتسبات ما يمكن عدّه عقبة ألا وهو (الفشل المتوقع).. فهذه العبارة تدل على

وجود مسألة معقدة، فالكثير من الشباب وحتى صغار السن بفرنسة وألمانية وبريطانية وبلدان أخرى من أوروبة يعبّرون عن سخطهم لعدم رضاهم عن وضعهم المعيشي، بطريقة أو بأخرى فهم يعبّرون عن تألمهم وعزلتهم. إذاً كان الآباء قد تحملوا معيشتهم بصمت، فالأبناء عبّروا عن تذمرهم وتم الحكم عليهم عبر هذا الواقع المرير، لقد تم الحكم عليهم بسرعة وبسرعة فائقة. أظن أن تشخيص المرض لا بد منه إذاً أردنا إيجاد الحلول ومعالجتها... فالأرقام تتكلم: 60% من سكان بعض المناطق ببروكسل من أصل مغاربي، 25% من بعض المناطق الفرنسية هي أيضاً من أصول مغاربية.

أما بريطانية فثلاثون بالمئة، لا يمكن تجاهل هذه الحقائق، فالمشكلة ليست في الإسلام بل المشكلة أكبر من ذلك؛ لأن هناك شرخاً في المجتمع، بالإضافة إلى البطالة المستمرة، والتهميش، والعامل الديني، والثقافي، زد على ذلك فالخطب الموجهة ضد الإسلام والمسلمين زادت من الشعور بالعزلة والتهميش.

(الفقر والبطالة والعزلة والإسلام).. كل هذه العوامل تفاقمت حتى أصبحت تشكل مجموعة من العيوب التي يتصف بها المسلم، يجب محو هذه الأوصاف الواحد تلو الآخر، هذا شيء طبيعي ولكن يجب أيضاً التفكير في الموضوع بصفة شاملة، إذاً أردنا إيجاد حل للوضع الاجتماعي، دون دراسة الجانب الديني أو الثقافي، وإذاً أردنا تغيير العادات دون تضميد الجراح وتمادينا في إصلاح الملبس دون إصلاح القلوب، فهذا غير معقول، إذاً أردنا دراسة المشكلات بمفردها وتأكدنا

أن المشكلة ليست مشكلة دينية أو ثقافية وفكرنا في استراتيجيات لإصلاحات مختلفة فهذا أمر حتمي، ولا يمكن إجراءه إلا إذاً درسنا الموضوع بشمولية وفكرنا في الوصول إلى مجتمع ثري سياسياً مطعم بانفتاح ديني، متعدد الديانات والثقافات، إذاً فالغاية هي التفكير في مشروع مجتمع متكامل.

* ضعف التمثيل

جاك نيرنك:

سوف ننظر في ذلك، بما إننا تحدثنا عن الشفافية، يجب ملاحظة تميز الجالية الإسلامية بفرنسة، ليس لها أي تمثيل على المستوى الوطني، الحكومة الفرنسية لا ترفض ولا تعارض ذلك، ولكنها تجد صعوبة في إيجاد هؤلاء الممثلين، فهذا الوضع يختلف تماماً على وضع الكنيسة المسيحية التي لها بنية منظمة ومرتبة، وهناك مؤتمرات لأساقفتها، فالحكومة الفرنسية تخاطب بكل بساطة رئيس هذا المؤتمر عند نشوب أي خلاف بين الكنيسة والسلطة العمومية الحاكمة، مثل مشكلة الإجهاض، والتكفل بإيواء المهاجرين المخالفين وغير ذلك، حتى الكنائس التي تم تسريحها أعيد فتحها بعد أن تجمعت في كيان واحد يمثلها لدى العالم الخارجي، حتى اليهود لهم حاخام يمثلهم.

ولكن ماذا يجري بالنسبة للإسلام؟ فالصحافة بصفة عامة تخاطب في هذا الشأن مدير مسجد باريس، لكن هناك دائماً تردد: هل هذا الإمام الخاص يمثل كل المسلمين بفرنسة أو على الأقل الأغلبية؟

obeikan.com

من أين تولد عجز المسلمين في إيحاد من يمثلهم عند السلطة الحاكمة؟ مع العلم أن هذا مهم جداً.

هناك صراعات داخلية بلا شك، ربما هناك رفض لتنظيم الصفوف، هذا ما اكتشفناه أثناء عروضنا السابقة، فالإسلام يفتقر إلى تنظيم مرتب وإلى المركزية فهو دين يتمتع باللا مركزية، وبالرغم من هذا يمكن للدين الإسلامي أن يتم تنظيمه بالجمهورية الفرنسية العلمانية ليفرض نفسه ويدافع عن مصالح المسلمين، يجب أن لا يستمر الإسلام في تجاهل مؤسسات السلطة وعدم التحاور مع رجال الطبقة العليا، ليس هناك دين يشجع ممثليه على هذا التصرف دون التعرض لنوع من الانتحار.

طارق رمضان:

مشكلة التمثيل الإسلامي هي فعلاً مشكلة مركزية، وفي كل أوروبة الكل يتساءل: هل يمكن للمسلمين تنظيم صفوفهم؟ هذه الأسئلة تمت نتيجة الفوضى والانقسامات التي يعيش فيها المسلمون، لذا يجب علينا طرح هذه الأسئلة بالترتيب ومحاولة الإجابة عليها بصفة شاملة.

إن مسألة تمثيل المسلمين هي الشغل الشاغل اليوم للسلطات الحاكمة التي تريد محاورين يتمتّعون بالمصداقية الكافية، هناك بعض المسلمين الذين يهتمون (بالمظاهر والمناصب) ويريدون تمثيل جالية بلدهم فقط. في رأيي كل هذه المناقشات، والمجادلات، والمناقشات المملة الخاصة

بتمثيل المسلمين مضرة بالإسلام، وتدل على عدم وجود نية صادقة من كلا الطرفين. أما رأيي الخاص في مسألة التمثيل الإسلامي فهذا مهم جداً، لكنها ليست أولوية، فالمسلمون يوجدون هنا منذ عشرات السنين، لكنَّ جزءاً منهم فقط تنبَّه أخيراً إلى وجوب التنظيم الإسلامي بأوروبة بكل حذافيره ومراحله، وأهدافه، نتمنى أن يتم هذا التنظيم في أقرب وقت وتعيين ممثلين شرعيين، ليس وهماً بالطبع.

هناك خياران لا ثالث لهما... إما أن يتم تعيين الممثلين من طرف المسلمين أنفسهم، وفي هذه الحالة يجب الانتظار حتى تتم الصحوة الشاملة وتتم المشاركة محلياً وتمتد إلى القمة... فالمبدأ الإسلامي واضح مثله مثل مبدأ الديمقراطية (من يختار الواجهة فقد تم اختياره مِنْ مَنْ يوجدون خلفه)، لذا بسبب عوامل سياسية غير مقنعة فنحن مجبرون على الإسراع في إيجاد حل لهذه المشكلة، والخيار يتلخص في لعبة الدولة التي تريد اختيار وتعيين من يمثل المسلمين، أو قبول بعض الشخصيات الإسلامية التي ترى في نفسها الكفاية لتمثيل المسلمين، الخياران سيئان جداً، أولاً؛ لأنه لا يجوز لأي سلطة التدخل في شؤون المسلمين ولا تحديد ما هو (صواب) وما هو (خطأ)، ثانياً لأن الممثلين الذين يدّعون تمثيل المسلمين وأعيان المسلمين ليس لهم أي مشروعية واضحة وأغلبهم مرتبطون بأنظمة أجنبية وهذا شيء مرفوض أيضاً، بالنسبة لهذه النقطة فالمبادئ يجب أن تكون واضحة، فالإسلام في أوروبة حقيقة غير مقيدة، لا يمكن أن نتساهل فيها، يجب أن يتمتع الإسلام بالحرية السياسية والحرية المالية، فنحن لا نقبل أي تدخل

خارجي في شؤون المسلمين وتسيير أمورهم، لا من طرف المغرب ولا من طرف الجزائر، ولا تركية، ولا تونس، ولا المملكة العربية السعودية، ولا إيران، أو غيرهم، أما الأموال التي سوف يقدمونها للمسلمين بأوروبة لشراء سكوتهم وضمان تبعيتهم لهم فهي مرفوضة، ويجب أن نرفضها. يجب على مسلمي أوروبة التمسك بحريتهم الكاملة التي هي شرط أساسي لضمان سيادتهم الكاملة بالنسبة لدول أوروبة نفسها، لا يهمني اليوم من هو المسلم الذي سوف يصافح هذا المستشار أو ذاك الوزير، أو حتى رئيس الجمهورية لهذه الدولة أو تلك، يبدو أن هذه المسألة أصبحت تلازمنا وتسيطر على عقولنا بفرنسة، من سوف يتم استقباله من طرف الرئيس بمناسبة احتفال تقديم التهاني؟ أنا شخصياً لا أنشغل بذلك لأن عملية تمثيل المسلمين أهم بكثير من هذه المسائل البروتوكولية.

* أولوية التمثيل المحلي

طارق رمضان:

يبدو لي اليوم أنه يجب التمييز بين مستويات التمثيل، وقبل أن نهتم بالقمة يجب علينا الانشغال بما هو محلي وجهوي؛ لأنه غالباً يتم حل الكثير من المسائل الخاصة بتسيير شؤون المسلمين، أنا لا أرى إلا إجراءً عاقلاً وشريفاً فيما يخص شرعية التمثل: تجنيد إطارات على مستوى المدن يشملون ممثلين من مختلف المساجد أو يمثلون جمعيات إسلامية تعمل محلياً وتعالج مسائل تخص الإسلام، ويتم ذلك على شكل مجلس

متعدد ومفتوح، يجب أن لا يكون التمثيل والسلطة مصدر صراع لهؤلاء الإطارات وهذه المجالس.

أولاً يجب أن نعمل جميعاً على حل المسائل الواقعية مثل أماكن العبادة، والصدقات، واللحم الحلال، والمقابر الخاصة بالمسلمين إلخ، كل هذا يتم إنجازه على مستوى المدن والمناطق، التمثيل الوطني ليس ضرورياً حالياً لحل أغلب المشكلات الملحة لأن هذه المشكلات يمكن حلها على مستوى القاعدة. يجب على الممثلين السياسيين المحليين تحمل مسؤوليتهم والتحاور مع المؤسسات الناشطة في الميدان لإشراكهم في التفكير في إيجاد الحلول، لا في اختيار الممثلين، يجب أن يجتمع الجميع حول طاولة عمل والتجرد من كل المسائل الخاصة بالسلطة أو بالأمور المالية، على المستوى المحلي يجب على المسلمين أيضاً تحمل مسؤولياتهم، وقبول الأمر الواقع، ألا وهو الانشغال بشؤون المسلمين وحل مشكلاتهم الخاصة دون الالتفات إلى بلوغ القمة، يجب أن نعيش هذه التجربة وإجراء حوار شامل يشارك فيه كل المسؤولين على المستوى المحلي.

فهذه مدرسة تعددية وطريقة خاصة بكيفية تسيير شؤون المسلمين واحترام المبدأ الأساسي الذي تم اختياره على مستوى القاعدة، الشرعية الحقيقية مبنية على ثلاثة مبادئ: الوجود في الميدان، المقدرة، والاعتراف من طرف المجتمع، سواء على المدى القصير أو على المدى البعيد، سوف تظهر بعض الميول لذا يجب الانتباه وأخذها بعين الاعتبار، ولكن يجب ترك ذلك إلى عامل الوقت لتغيير العقول ونضج الفكر المحلي وتنظيم شؤون المسلمين في احترام داخل تعددية حقيقية.

نحن لا نريد تلك الصراعات التي كانت تنشب بين الأعيان الذين يمثلون هذه الدولة أو تلك، كما لا نريد تدخل السلطة الفرنسية المحلية أو الألمانية أو البلجيكية لاختيار ممثلين للمسلمين؛ لأنّ ذلك يتعارض تعارضاً كلياً مع مبادئ الدستور لهذه الدول العلمانية، ما يقال شيء وما يتم فعله على الواقع شيء آخر، كل ذلك لضمان المصالح السياسية، ويجب أن نحدّد ما نريد: إما أن يتم اختيار ممثلين شرعيين منتخبين من طرف مسلمي كل بلد، أو الاستسلام للعبة خفية تجري داخل الكواليس لصالح السلطة الحاكمة وبعض حلفائها الجزائريين أو المغاربة أو الأتراك أو السعوديين. مرة أخرى أعترض على هذا التلفيق السياسي ولا أتصور إلا تمثيلاً مستقلاً سياسياً ومالياً ذا هيبة واحترام مبنياً على التعددية، لذا يجب التروي وأخذ كل الوقت الكافي... لا يمكن تنظيم قاعدة انتخابية مبنية على تعددية حقيقية بحركتين أو ثلاث إلا إذاً تم إجراء تجربة على الواقع، لذا فلنتحلَّ بالصبر ونعلّم المسلمين تحمل مسؤولياتهم على المستوى المحلي، ثم ننظر فيما بعد إلى المسائل البروتوكولية.

لقد تمت حديثاً انتخابات ببلجيكة هي الأولى من نوعها، تمت هذه الانتخابات على سبيل السرعة وتم تسجيل أغلب المسلمين في قوائم الانتخابات، لكن في النهاية شارك 50% فقط في الانتخابات، وتعهدت الحكومة البلجيكية بضمان الاطلاع على النتائج، يمكن أن نتصور أن هذا النوع من الإجراء هو أول مرحلة تنطلق من القاعدة (على الرغم من أن السلطة كان لها اليد الطولى في سير الانتخابات)، كان هناك شك كبير في تدخل خفي للإسلاميين المتطرفين وانتصارهم في هذه الانتخابات،

من جهة أخرى كنا نعرف سلفاً أن السلطات البلجيكية متعاطفة أكثر مع السلطات المغربية وتميل أقل إلى السلطات التونسية أو الجزائرية.. ما هو إذاً هذا النوع من التسيير؟ نقرر ماذا؟ ونذهب إلى أين؟

يكفي لفئة من السياسيين توجيه إصبع الاتهام إلى (المد الإسلامي) لكي يتم تعميم التّهمة على كل المسلمين الذين يعيشون في هذا البلد والشك في نزاهة اختيارهم، لا أظن أنّنا سنصل إلى نتيجة إيجابية في ظروف استعجالية كهذه، يجب علينا ملاحظة التطور الذي حصل ببلجيكة، لنتمسك بالأمل، لكن هذا النوع من الإجراء غير قابل للتصدير لأن بلجيكة بلد صغير.

أخيراً لا يسعني إلا أن أقول إنه يجب علينا البدء بالعمل على مستوى القاعدة والتفكير في المدى البعيد، في كل الأحوال يجب إعادة إرساء ثقافة الحوار داخل المجتمعات في نفوس المسلمين.

الميدان المحلي هو أحسن ميدان لإجراء هذه التجربة، وإذاً أردنا عمل بحث على المستوى الوطني هناك العديد من الإجراءات التي يجب اتخاذها بخصوص هذا التمثيل حتى لو تم ذلك بصفة مؤقتة وفي ظروف معينة، وأنا لا أرى مسلكاً آخر غير إنشاء قاعدة تضم العديد من الجمعيات ذات طابع وطني لإيجاد حلول دقيقة، غداً حتى لو لم يتم لم شمل المسلمين بصفة كاملة سوف ينجحون في اختيار ممثليهم بصفة شرعية، من جهة أخرى يجب أن يتم احترام مبادئ العلمانية وامتناع السلطة عن التدخل في شؤون المسلمين، والكف عن محاولاتها في إحداث شقاق في صفوف

المسلمين بغرض السيطرة عليهم، مع أن المبادئ واضحة وهي اختيار القاعدة للتمتع بالاستقلالية السياسية والمالية والتعددية وتمتع الممثلين بالكفاية المطلوبة، كل هذا يتطلب وقتاً كافياً.

* احترام المجتمع

جاك نيرنك:

عندما يطلب من المسلمين تحديد من يمثلهم فهذا يعني إعداد المحراث ووضع الثيران أمامه، بينما المجتمع يمر بتغيرات ويتأقلم شيئاً فشيئاً مع الحياة في بلدهم الجديد لا يمكن أن نتصور أن ما يطلب منهم إنجازه قد تحقق وأن المندوبين الذين سيمثلونهم موجودون، وجاهزون لأداء مهامهم، يجب أولاً تصور الاندماج، اندماجاً ودّياً ومقبولاً من المسلمين وهذا ما هو جارٍ حالياً.

طارق رمضان:

هذا فعلاً ما هو حاصل، وهذا شيء جميل جداً، في كل مكان من الدول الأوروبية التي زرتها هناك صحوة إسلامية والوضع يتطور، في فرنسة وبلجيكة وبريطانية يطالب الكوادر المسؤولون أن تكون مشاركة المسلمين مشاركة شاملة: على مستوى التسيير، وعلى مستوى المشروعات الخيرية، والمشاركة كمواطنين حقيقيين، في بريطانية تم إعداد كتيب يتضمن الإجراءات الخاصة بالانتخابات ونتائجها وأهمية الالتزام والتعهد بالمشاركة، أما في فرنسة وبلجيكة فالمناقشة

والتحضيرات جارية بخصوص ذلك، كل هذه المبادرات تشجع على ميلاد هوية إسلامية طبيعية مستعدة للتكيف مع الأوضاع الموجودة والمسهمة في التعددية.

إن تدخل السلطات الحكومية يسبب الانشقاقات ويعيق أي تقدم بخصوص التمثيل الإسلامي، لقد أصبحنا نشك أن هناك استراتيجية سياسية من طرف الحكومات لاستمرار الانشقاقات وعرقلة أي تقدم، والمسلمون للأسف وقعوا في الفخ، يجب علينا معرفة ما نريد، السلطة أو العيش في وفاق، في هذه الحالة الأخيرة يجب تحقيق إنجازات على مراحل، يجب علينا في هذه الحالة احترام بعض المبادئ... أولها احترام المجتمع، من يريد التحدث باسم المسلمين وتقمّص شخصية النخبة وتداعي العلم عيبهم أنهم منفصلون تماماً عن القاعدة، ما قيمة ما يقولون إذاً كانت كل قنوات العالم مسلطة عليهم، أما أولئك الذين تختفي خلفهم بعض الحكومات فلعبتهم مكشوفة وتمثيلياتهم مكشوفة أيضاً، في بعض الأحيان نشاهد نقاشات حادة وعمليات تسيير تدعو للشفقة، أنا لا أريد التدخل في هذا إطلاقاً، ولا أعرف إلا شيئاً واحداً: ليس من حق أي شخص احتكار تمثيل المسلمين باسم الشرعية والمهم هو تكوين المجتمع وتثقيفه وحثّه على المشاركة في بناء القاعدة على المستوى الوطني والمحلي بدلاً من التناحر للوصول إلى القمة.

المشاركة الفعالة التي شاهدتها في بعض الدول الأوروبية التي زرتها تثير الاهتمام، نحن نسير في الاتجاه الصحيح.

أتعرف... أظن أنه بمرور الوقت سوف تتم عملية التمثيل في الوقت نفسه مع ديناميكية المواطنة، وهذا ليس سيئاً بالطبع، شيئاً فشيئاً بدأ المسلمون يشعرون بالمسؤولية ولزوم المشاركة، مثال على ذلك ما حصل حديثاً ببلجيكة وما ذكرناه قبل قليل، تلك هي حقيقة تدل على وجود قاعدة انتخابية مهمة، الكثير من المسلمين شعروا أنهم معنيون بالأمر، والتعديلات التي تم إحداثها هناك هي الخطوة الأولى.

غداً، يجب تحقيق الثلاثية الآتية: الحضور، والاستقلالية والمواطنة، حتى لو كان هذا المشروع فيه شيء من المضايقة لنا وشيء

من الخطورة على الحكومات الأجنبية، وعلى الحكومات الأوروبية التي تريد السيطرة على هذه القاعدة الإسلامية والحدّ من ديناميكيتها، (بالرغم من أن دستورهم لا يسمح لهم بذلك) بالرغم من كل هذه العراقيل، أنا لا أرى مخرجاً آخر شفافاً وشرعياً، الهدف واضح، والوسائل لتحقيق ذلك واضحة أيضاً، والصمود أمام المصلحة العليا، ومحاولات الرشوة والتحلي بالحزم والثبات.

جاك تيرنك:

يجب أن تكون الأمور واضحة للمسلمين المفككين، إن الديانات الأخرى لها تأثير على السياسة بسبب تمثيلها كما أن السياسة لها تأثير عليهم أيضاً.

في فرنسة، المتطرفون من المسيحيين لا يتراجعون عن التصويت للوبن، عكس ذلك المسيحيون لا يرتاحون للحزب الشيوعي ولا الحزب الاشتراكي،

على كل الأحوال الكاثوليك أقل تعصباً من البروتستانت، لا يمكن تجاهل هذه العلاقة الجوهرية بين الدين والسياسة، ولا مفر من ذلك.

حتى في الولايات المتحدة على الرغم من أن هناك فصلاً بين الدولة والكنائس، بموجب مادة معينة في الدستور فإن الديمقراطيين يراهنون على أصوات اليهود المهمة جداً، وجود إسرائيل واستمرارها في الوجود مرهون بهذه الأصوات ذات الوزن المؤثر، هذا التواطؤ بين السلطة السياسية والأديان يفوق ما يقال محلياً، كل شيء له ثمن ورجال الدين يتقاضون سريّاً مبالغ طائلة مقابل ذلك حتى أسقف الكنائس البالية يتم إصلاحها وترميمها من هذه المبالغ الخفية، هذا الضغط لا بد من وضعه في الحسبان وهذا هو موضوع نقاشنا.

لنبحث في الموضوع الثاني الذي يتعلق بوضع المسلمين.

* شبح الحرب اختفى

طارق رمضان:

منذ القديم والكتب المقدسة تتحدث عن (دار الإسلام) حيث تعيش الأغلبية المسلمة التي تمتلك الأرض وتسيطر على السلطة، أما في الخارج فهناك (دار الحرب) حيث يوجد أعداء المسلمين الذين لا يشعرون بالأمن في هذه الديار المعادية، مقابل هذه النظرية المزدوجة هناك تصور ثالث لا يعارض وجود قطبين في هذا العالم: وهذا التصور الثالث هو (دار الصلح) بمعنى (دار السلم) لأن هناك اتفاقية سلام تم إبرامها لمنع الحرب بين دولتين، هذه الاتفاقية يرجع تاريخها إلى

القرن العاشر والحادي عشر، هذا هو الوضع (الجيوستراتيجي) الذي كان سائداً في تلك المدة والخاص بالنّزاعات التي تتعلق بالأمن الداخلي. لذا تغيرت الأشياء اليوم فعبارة (دار الحرب) أصبحت لاغية ولا تشكل أي خطر على أمن المسلمين، وضّحت هذا في كتابي (إذاً كنت مسلماً أوروبياً) قلت إننا نتمتع بالأمن في الغرب أكثر من البلدان ذات الأغلبية المسلمة، من جهة أخرى التحليل القانوني للعوامل الأخرى يبيّن أن الكثيرين يعتقدون أن هذه العوامل أصبت غير عملياتية.

هذه الرؤية المزدوجة التي كانت من قريب مصدر رفض أصبحت تتغير والمسلمون أصبحوا يدركون شيئاً فشيئاً أنه يجب عليهم تحمل مسؤولياتهم ليتم أخذهم في الحسبان في المجتمع الأوروبي بصفتهم مسلمين بأتم المعنى، هذه بداية الثورة، ثورة تغيير السلوك المبني على الشرعية أولاً والبسيكولوجيا ثانياً، ماذا سيحصل لو تجاوزنا مرحلة الانغلاق السابقة؟

جاك نيرنك:

للعلم أن المسيحية عاشت الوضع نفسه، شارل مارتيل، جان سوبيسكي، دون جيان النمسا حاولوا أيضاً الدفاع عن حدود العالم المسيحي ببواتييه (Poitier) وفيينا (Vienne) وليبانت (Lepante)، لذا أقول باختصار إن المجتمع المسيحي والمجتمع الإسلامي مرّا بالتجربة نفسها.

طارق رمضان:

هذا صحيح لكن الحمد لله أن الأشياء تغيرت، للعلم أن التصورات التي تحدثت عنها غير مستمدة من القرآن والسنة النبوية الشريفة، في حالة إجراء تحليل على العالم لابد من الاجتهاد ويجب علينا الالتزام بذلك.

الكثير من المسلمين تساءلوا قبل مدة وجيزة: هل يمكنهم البقاء بأوروبة؟

أما اليوم لقد أصبح الأمر أوضح من قبل والتدابير القانونية أصبحت ملائمة للوضع الجديد الذي يخص الملايين من المسلمين في الغرب، بعض العلماء فكروا في تصورات جديدة مثل (دار الدعوة) لمخاطبة الغرب، أما أنا فقد اقترحت (دار الشهادة) لأن الشهادة من المبادئ الأساسية في الإسلام وتدل على إجراء أساسي للوجود الإسلامي: الإدلاء بالشهادة أمام المجتمع خاصة في عصر العولمة، المهم هو ملاحظة التطور الحاصل في البحث وعقلية الناس.

أما البعد الآخر الأكثر وضوحاً الذي ترفضه القلة المتطرفة هو احترام الإطار القانوني للبلد الذي نعيش فيه، فالمسلم مرتبط بعقد ضمني بالمجتمع الذي يعيش فيه ولا يجوز له خيانة هذا العقد أو التحايل عليه، إذاً أجرينا تحليلاً لكل هذا ندرك أن كل الحالات التي تتخللها المشكلات يمكن حلها دون أي مواجهة.

أما بخصوص الحالات الخاصة التي يتحتم فيها على المسلم تطبيق قوانين لا تُماشي عقيدته يجب علينا دراستها حالة حالة وكيفية تكييفها قانونياً، إن مرونة القانون الإسلامي في حالة الضرورة أو الحالات الاستثنائية مهمة جداً ويجب علينا استغلال هذا الجانب.

مع كل هذا لقد أصبحت قضيتنا مفهومة أكثر، وحصل عليها تطور كبير، بدأنا نشعر أنه يمكننا عدّ أنفسنا في بلدنا، الأمن موجود ومحفوظ، والقانون فوق كل شيء، ولا أحد يمنعنا من العيش، ولا أحد يمنعنا من العبادة وتطبيق عقيدتنا مثلنا مثل أي مواطن ومثل أي مقيم، يجب علينا احترام الدستور وفقاً للقانون.

أما في الحالات التي يوجد فيها ما يتعارض مع القانون والضمير يجب علينا قياس مستوى الأولوية، إذاً كان هناك فعلاً تعارض لأن ذلك لا يتوافق مع ضميرنا، هناك حق وهو حق، أي مواطن يشير إلى (النص الذي يبيح عمل ذلك) ونلاحظ بعد التحليل والتجارب أن حالة مثل هذه بالنسبة للدستور الأوروبي لا وجود لها أصلاً وخاصة في الحياة اليومية.

* الخلاف بين القانون الأوروبي وتعدد الزوجات

جاك نيرنك:

لنأخذ مثالاً معيناً للتعبير عن الواقع. إذاً كان تعدد الزوجات يخص بعض الدول التي تمارس هذه العادة المقبولة من القرآن مثل المالي والسودان، فالمواطنون القادمون من هذه الدول يواجهون بفرنسة

مشكلات معقدة عندما يعيشون في ظل القانون المدني الفرنسي، ولا أتكلم عن القانون فقط، بل يجب على الزوج التصريح بوجود زوجة واحدة شرعياً، أما الأخرى فتصبح معاشرتها غير شرعية، ولكن هذا يسبب مشكلات متتالية أخرى أكثر تعقيداً في حالة الوراثة وهنا تتضرر الزوجة أو الزوجات الأُخريات ولا ترث أي شيء.

إذاً كان المسلم متعدد الزوجات على نية صادقة لأن ذلك مباح ببلده، فما عليه إلا الخيار بين الإقامة في فرنسة في ظل الشرعية القائمة وتوضيح حالته أو رفض الإقامة بفرنسة.

يجب أن يفهم أن عقيدته لا تتوافق مع قانون البلد الذي استضافه والخلاف حاد ولا حل له ولا يمكن لأي منهما التنازل للآخر.

طارق رمضان:

إذاً كان متعدد الزوجات مثل الحالة التي أثرتها، يجب عليه اختيار إما عدم الإقامة بفرنسة، أو توضيح الأمور وفقاً للقوانين المعمول بها في البلد المضيف، للعلم إن بعض العلماء يقولون إذاً كان رجل له زوجتان مثلاً واحدة قانونية وواحد غير شرعية بالنسبة لقوانين البلد، في حالة الاحتفاظ بالثانية (على الرغم من أن القانون الأوروبي لا يعترف بها) فهذا مقبول لأن ذلك لا يُعدُّ مخالفاً للقانون بل أمر حتمي.

هناك حالات مثل هذه تم مناقشتها بخصوص سياسيين قادمين من بلدان ثرية، لقد قام الكثير من المحامين الأوروبيين بتوجيه النصح

لهؤلاء الأثرياء لاتّباع الطريقة نفسها التي ذكرناها سابقاً؛ أي التصريح بواحدة والعيش مع الأخرى غير شرعية، وقد أبدى الكثير من العلماء رأيهم في هذا الموضوع الشائك.

أما أنا فهذا يزعجني شيئاً ما، وأظن أنه يجب التفكير في إيجاد الحلول التي تتناسب مع القانون ولا تؤذي أحداً، خاصة إذاً كان تعدد الزوجات موجود أصلاً فلا يؤذي هذه أو تلك، مثل هذه الحالات تستحق التفكير في إيجاد فتاوى مناسبة لها تُماشي الظروف التي حدثت فيها، الفتوى هي عبارة عن رأي قانوني حول حالات خاصة، وهي أداة تساعد المسلمين على التأقلم بأوروبة، لكن هذه الفتاوى يجب أن تدرس من طرف علماء أكفياء وذوي اختصاص، لكن بالنسبة للمثال الذي أثرته فهذه حالة استثنائية، هناك ميادين أخرى تثير اهتمامنا ولا تحتاج إلى حلول مناسبة؛ لأن هذه الحالات تخص أغلبية المسلمين.

جاك نيرنك:

لا يمكن أبداً تغيير القوانين بالنسبة للميراث، كل شيء واضح ما عدا من يريد تقديم هدية لأحد أفراد عائلته بمحض إرادته، وهنا أيضاً الهدايا التي تقدم باليد يجب أن تكون قانونية ومسجلة وخاضعة للضريبة.

طارق رمضان:

الحالة التي أشرت إليها مهمة جداً لأنها فيها توضيح للمسلمين ماذا يمكن أن يفعلوه في المستقبل للإقامة بأوروبة، القوانين المعمول بها

في مختلف الدول الأوروبية ليست موحدة ولا مغلقة، فهي قابلة للتأويل والتطبيق بصفة واسعة، وهناك نصوص معترف بها قانونياً يمكن للمسلمين أن يلجؤوا إليها لتسيير أمورهم وفقاً لما يُماشي ضميرهم، بخصوص الميراث ووفقاً للقوانين الأوروبية يمكن تطبيقه وفق ما هو معمول به سواء بالتقسيم أو كمجرد هدية، بالنسبة للمسلم فالعملية تحتاج إلى إجراء عملية تقريبية تتكيف مع ما هو مسموح قانونياً وتتقارب مع ما تسمح به عقيدته.

في معظم الأحيان يتضح لنا أن هناك تناقضاً ظاهراً وأن عمليات التأقلم تتم وفقاً لما يسمح به القانون من خيارات، طبقاً للتأويلات القانونية الممكنة، التي عبرها نجد مخرجاً مقبولاً، في المستقبل على رجال القانون المسلمين إيجاد التصورات الخاصة بهذه التكيفات الخاصة بالتقدم خطوة خطوة في مختلف الحالات القانونية، مثل عقد الزواج، والميراث، والميادين المالية والتجارية. وما هذه إلّا محاولات أولية، يجب أن نبدأ أولاً، في التفكير في عقد الزواج مثلاً ونجد صيغة تناسب القوانين الإسلامية وتحترم في الوقت نفسه قوانين البلد المضيف: نبدأ بالصيغة أولاً ثم كيفية التعبير عن التعهد ثم المواد الخاصة بالزواج بالإضافة إلى الشروط، هذا عمل جبار يتطلب وسائل واعدة للتوصل إلى اندماج قانوني، هذه عملية غير مستحيلة ويمكن أن تتحقق كما تحققت في بعض الدول الآسيوية.

وضعيتنا الجديدة أثارت اهتمام وارتياح رجال القانون، لكنها تتطلب معرفة قوانين كل بلد على حدة، وهذا ما لم يتحقق بعد، يجب

علينا أن نكون مسلمين أولاً، ومواطنين بكل معنى الكلمة، في هذه الحالة نصبح مواطنين مسلمين كأي مواطن، فرنسي، وبلجيكي أو سويسري.

والسؤال المطروح هو: هل نحن فرنسيون أولاً أو إنجليز أو مسلمون فهذا لا أهمية له، إذا تحدثنا عن المواطنة فنحن فرنسيون أو سويسريون أو بلجيكيون مسلمون، أما إذاً تحدثنا عن ذلك فلسفياً فنحن مسلمون بلجيكيون أو سويسريون أو فرنسيون إلخ، أما من ناحية الهوية فنحن أوروبيون ندين بالإسلام ولا أظن أننا بحاجة إلى الإثارة أكثر من ذلك.

إذاً أردنا إجراء ترتيبة ما يمكن التركيز على أربعة مبادئ:

1 ـ ممكن العيش في أوروبة.

2 ـ يجب علينا احترام دستور البلد الذي نعيش فيه.

3 ـ إذاً كنا نتمتع بجنسية البلد الذي نعيش فيه، علينا أن نعتبر أنفسنا مواطنين مسهمين ومشاركين في العيش معاً.

4 ـ الاندماج عن طريق الفتوى هو الاندماج الصريح المبني على القانون المعمول به في البلد المضيف.

يجب علينا العمل على الاندماج القانوني، اندماجاً شرعياً، أي تثبيت إقامتنا بعد إثبات وجودنا، هكذا هو القانون الإسلامي يتصف بالصرامة والمرونة، الصرامة والمرونة من الصفات التي تجعل رجل القانون في تفكير دائم لإيجاد الحلول المناسبة.

جاك نيرنك:

أريد الإشارة إلى هذا المبدأ العظيم الذي تحدثت عنه، إذاً كانت الجالية المسلمة أقلية في بلد ما وذات سيادة ومتسامح، وليس بلداً يعتمد على العقيدة، وهذا هو حال كل البلدان الأوروبية فعلى المسلم أن يتقبل قوانين هذه البلدان مثل ما هي وبرحابة صدر، يمكنه في هذه الحالة الاستفادة من مرونة هذه القوانين للتقرّب ما يمكن من التصور الإسلامي.

طارق رمضان:

هذا صحيح.

جاك نيرنك:

ولكن دون مخالفة القانون المحلي، هذا موقف مهم جداً، فهي رسالة لا يدركها الغربيون جيداً، العداء ضد المسلمين سببه ما يلي: يظن الغربيون أنه عندما يتكاثر المسلمون سوف يخالفون قوانينهم وينقسم المجتمع إلى مجتمعين لكل واحد قوانينه ومحاكمه الخاصة ، ويصبح الوضع لا يطاق أولاً، ثم تتطور الأمور وينشب نزاع مثل ما حصل في إسرائيل أو في لبنان.

* معركة ضمير

جاك نيرنك:

أريد الآن عرض الحالات الاستثنائية، لو فرضنا أن المسلم يعيش بكل إخلاص وفقاً لقانون العائلة الفرنسي، ويتصرف بكل صدق ويحمي

obeikan.com

المطلقة واليتيم، يمكن لهذا المواطن الفرنسي المسلم أن يجد نفسه في حالة حرب مجنداً في الجيش الفرنسي دون موافقته ثم يتم إرساله للمشاركة في الحرب في الشرق الأوسط، وقد حصل ذلك أثناء الحرب العراقية، وهنا يجد نفسه في تناقض لأنه أصبح يشارك المرتزقة المسيحيين في حربهم ضد إخوانه المسلمين، هذا يذكرنا بما حصل في حرب التحرير الجزائرية عندما شارك الحركيون في الحرب ضد إخوانهم الجزائريين، ماذا يفعل في هذه الحالة؟

طارق رمضان:

يجب توضيح الأوضاع.

المبدأ الأول هو العدالة، في حالة حصول أي نزاع سوف يحشر المسلم في الجهة المعادية؛ لأنه يدافع عن قضية غير عادلة، في هذه الحالة تعد مشاركته في المعركة قانونية، لقد ورد في القرآن حالة مماثلة، يجب مناصرة صاحب القضية العادلة، وقد قال الرسول ﷺ: (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، دهش رفاقه أمام هذا الموقف: فهم موافقون على مساعدته إذاً كانت قضيته عادلة، ولكن كيف يساعدونه إذاً كانت قضيته غير عادلة؟ فأجاب الرسول ﷺ : ضع حداً لظلمه، وهذا واضح.

أما إذاً كانت الحرب حرب استيطان مثلاً أو لاغتصاب أراضي الغير دون مبرر فيصبح من المستحيل مشاركة المسلم في هذه المعركة، يحكّم ضميره وتكون معارضته معارضة ضمير، يجب أن تكون الأمور واضحة، ولا يكون الضمير هو العامل المؤثر عندما تكون الحرب التي

سيشارك فيها المسلم غير عادلة فقط بل يراجع الإنسان ضميره عند نشوب أي حرب غير عادلة مهما كان العدو المقابل، ليست المسألة مسألة اختيار: كاسيوس كلاي (محمد علي كلاي) عندما رفض المشاركة في حرب فيتنام كان موقفه هو الموقف الوحيد الذي لا بد من اتخاذه بوصفه مسلماً، فالحرب غير شرعية، وغير عادلة، مهما كان العدو، ولا يمكن لأي مسلم مهما كانت عقيدته مباركة هذه الحرب، والعديد من المسيحيين اتخذوا الموقف نفسه، مرة أخرى يتضح لنا أنه لابد من دراسة كل الحالات حالة حالة، يمكن الرجوع إلى الحالات العامة ولكن من الضروري فيما بعد دراسة كل حالة بمفردها.

تحكيم الضمير في بعض الأحيان لا يقتصر على المسلمين فقط، العديد من الفلاسفة والمسيحيين يلجؤون إلى هذا الخيار.

جاك نيرنك:

من بين هؤلاء رئيس الولايات المتحدة السابق بيل كلنتون الذي لم يشارك في حرب الفيتنام، لم يحكم ضميره كما يجب لكنه استعمل دهاءه، بما إنه ينتمي إلى عائلة ثرية ومثقفة ذهب للدراسة في بريطانية ولم يشارك في هذه الحرب غير العادلة.

طارق رمضان:

هذا ممكن... لكن الكثير من الرجال الذين يتحلَّون بعزَّة النفس استطاعوا مواجهة الموقف وقالوا بكل صراحة (لا أستطيع) هناك نص خاص بذلك في القانون الأوروبي، ويمكن للمسلمين اللجوء إليه مثلهم

مثل أي مواطن أوروبي، فالرفض ليس مبنياً على الدين، فالرفض هنا هو رفض قضية غير عادلة موجهة ضد أي إنسان يعيش على وجه الأرض.

جاك نيرنك:

لقد اكتشفنا مبادئ جديدة يمكن اعتمادها لخلق تعايش منسجم بين مسلمين ومسيحيين (حتى المرتدين) لكن تطبيقها صعب جداً، يجب إعلان هذه المبادئ ونشرها لإزالة فتيل الحرب المعلنة ضد مسلمي فرنسة، ربما لأهمية هذه الجالية التي يبدو للآخرين أنها قد تهدد أمنهم واستقرارهم في بعض المناطق، لكن ما يحدث على الواقع يومياً غير ذلك.

* الخوف من الجريمة والإرهاب

جاك نيرنك:

لقد أشرت في حديثك أن 60% من الموقوفين في السجون ببروكسل هم مسلمون، بينما لا تساوي الجالية المسلمة إلا 10% من عدد السكان، هذا يدل على أن هناك مشكلة، هل هذه المشكلة هي مشكلة اجتماعية؟

نحن نفهم ونتفهم الموقف، فهذه الجالية المسلمة جالية فقيرة، وغير مثقفة لذا فهي تفرّخ العديد من المنحرفين والمجرمين، هناك الجالة نفسها بأمريكة بالرغم من أن العديد من الأفارقة والسود يتمتّعون بالجنسية الأمريكية منذ زمن بعيد.

obeikan.com

ولكن هل هذا هو الوضع السائد فقط؟

في تصور الأوروبيين الأصليين، المسلمون الذين يتصرفون بصورة سيئة، وخاصة المنحرفين منهم ليسوا منحرفين عاديين، فهم منحرفون يستغلون عقيدتهم لإعلان (نوع من الحرب المقدسة) ضد المواطنين الأصليين، وقد ازداد هذا الاتهام بعد الأحداث التي اجتاحت باريس منذ ثلاث سنوات عندما أحست العاصمة الفرنسية أنها مهدّدة من قبل الإرهابيين الإسلاميين، كل هذا أجبر السلطات الفرنسية على اتخاذ إجراءات صارمة حيث انتشرت في العاصمة قوات في لباس الحرب تتمركز خاصة في الأماكن الحساسة، حتى صناديق القمامة تم سحبها من الشوارع، وحملات تفتيش الشنط اليدوية أصبحت مألوفة في مداخل المرافق العمومية، كل هذا خلق حالة طوارئ، ليس هناك خلاف بين مواطني فرنسة، فهي ضحية مجموعة إرهابية صغيرة، مجموعة لا تنتمي إلى فرنسة بل تنتمي إلى الجزائر وتأخذ فرنسة كرهينة، وهذا الوضع لم يتقبله سكان فرنسة بالطبع، هذه العمليات الإرهابية خلفت ضحايا كما أشرنا إلى ذلك في بداية الكتاب، هذا النوع من العمليات يسيء إلى الجالية الإسلامية ككل.

كيف حصل هذا النوع من العمليات؟

الجاليات المتديّنة الأخرى والجالية اليهودية بصفة خاصة لا تتصرف بهذا الشكل ولم ترتكب أي عملية إرهابية مثل هذه بفرنسة مع أنه كانت هناك مبررات لفعل ذلك.

طارق رمضان:

لقد وضعت النقط على الحروف كما يجب وهُيِّئت العبارات اللازمة لإجراء هذا الحوار بصفة واضحة، لذا فلنحاول فصل الميادين... ما رأيناه أثناء هذا الحوار هو أن شرعية الاندماج ليست هي جوهر الموضوع، لأن الدستور الأوروبي يسمح بإعداد وتحقيق تعايش إيجابي مع المسلمين في شراكة نزيهة وخالصة، نقاط الخلاف قليلة جداً وهامشية، فالمشكلة إذاً ليست هنا.

ما هي المشكلة؟

بما إنني تجولت كثيراً في أوروبة، وتناقشت مع العديد من المثقفين الإنجليز وفرانكوفونيين وعملت في ميدان الثقافة والمجتمع، توصلت إلى النتيجة الآتية: أولاً الموضوع كله يتلخص في صورة المسلمين لدى الغرب وتمثيلهم،الغرب أخذ فكرة عن الإسلام، وعن المرأة المسلمة، والرجل المسلم، وعن العرب بصفة عامة، والأجنبي بصفة خاصة، وهذه الرؤية هي التي سوف تعدّل وتمهّد تحليل أسباب التهميش والعزلة ليتبقى شيء واحد، هذا الإسلام الذي قدم من مكان آخر.

هذا التصور الخاطئ يتغذى من أي شيء في متناوله: كالانحراف والإجرام في الضواحي، والسيارات المحروقة والأسماء الأجنبية الغريبة، وغرابة المظهر وحجاب الجارة، وآخر من تم ذبحه بالجزائر، و(الصلاة المنقولة بالتلفزيون) وصدام حسين، والقنابل العمياء، وطالبان، والنساء المتخفيات في أفغانستان.. وهكذا يتم خلط أي

شيء. والإسلام يعد هو العامل المشترك لكل هذه الخلطة. ويصبح سبب كل شيء.

يجب محاربة كل هذه الأشياء البسيطة، نعيش في عصر يمكن (للكاريكاتور) أن تؤثر على أي مشروع جنوني يمكن أن يتسبّب في قتل الكثير من الأبرياء، نحن شاهدنا ذلك أثناء حرب الخليج، اللعبة والإخراج آتت ثمارها والشعب العراقي لا زال يعاني ويدفع الثمن.

كل ما أراه معقولاً هو عزل المشكلات، وتحديد أسبابها، وإيجاد الحلول، الشرخ الاجتماعي يتطلب دراسة مفصلة وواضحة، سواء كنا مسلمين، أو يهوداً، أو مسيحيين، أو بوذيين أو فرنسيين من هايتي، أو من بولندة، فهناك مسببات موضوعية توضح العزلة والعنف الاجتماعي وتطور التهميش، هل تعرف كيف كان استقبال وإسكان المهاجرين الأولين وكيف تم حشرهم في مجموعة منامات، زد على ذلك البطالة التي كانوا يتخبطون فيها، والتهميش في العمل، والشعور بالعزلة، عندما نعرف كل هذا نعرف أسباب العلة، كانت هناك قنبلة قابلة للاشتعال في أي لحظة، في بريطانية تم خلق أحياء مخصصة للأقليات.. في كلتا الحالتين هناك خطأ.

في تصور الناس، الفرنسيين والأوروبيين الأصليين بالذات هناك اعتقاد أنّ مصدر العنف هو العنف الذي تم عرضه بالتلفزيون، هم (الممثلون أنفسهم) والأحداث العالمية تسبّب عدوى متواصلة على تحليل أوضاع المسلمين بأوروبة.

هنا أيضاً يجب تنظيم التحليل الجغرافي السياسي والتمهيد للتحليل السياسي والاقتصادي والديني أو الثقافي.

يجب إزالة الستار على (التفرقة الدينية) لتسهيل تقويم الآخرين والوصول إلى التعقيدات التي تحيط بالدراسات السياسية والجغرافية والاستراتيجية، عندئذ ستظهر أسئلة جديدة موجهة مباشرة إلى حكوماتنا التي تساند بطريقة متناقضة سلطات مغلقة وتقليدية ولا إنسانية، فالمسؤوليات مشتركة. فالمسلمون يتحملون الجزء الأكبر من المسؤولية بأوروبة، مسؤولية قلة الاتصالات مع من يحيط بهم، يجب عليهم التفتح أكثر، وشرح قضيتهم وإسماع قضيتهم للغير وفرض مواطنتهم الكاملة.

مواطن، يعني مساءلة السلطة عن السياسة الاجتماعية أو السياسة الدولية (دون اتهامهم بالتآمر مع العدو).

مواطن، يعني استخدام كل القنوات للتعبير عن أصواتهم وإسماعها للغير عبر البلديات، عبر المؤسسات، عبر المنتخبين المحليين، عبر البرلمانيين، المهم هو الحضور الدائم والمسهم في بناء المجتمع، على كل المستويات، المهم هو فرض أصواتهم والإعداد للشراكة، والمفتاح هو ترسيخ الثقة لدى من يحاورونهم.

لكن على هؤلاء التعهد بمسح الصورة الهزيلة التي صنفوا بها المسلمين ومحاربتها، عليهم التعهد بإجراء حوار بناء ويصبحون شركاء حقيقيين في الميدان، يتعهدوا ليصبحوا الواجهة المزدوجة التي عبرها

يستطيع المسلمون غير المحبوبين التقرب أكثر من المجتمع الذي يعيشون معه، العديد من المثقفين وممثلين وسياسيين أصبحوا يلعبون هذا الدور، وشيئاً فشيئاً بدأ الوضع يتحسن.

فهذا العمل حديث العهد ومتواصل، أنا لا أرى طريقة أخرى مثلاً للتدخل في أعمال الشغب في الضواحي. لكن يجب الانتباه وعدم خلط (العمل عن قرب) و(التلفيق الاجتماعي) لأن العمل عن قرب يتطلب رؤية شاملة ومختلفة، وتحديد هدف معقول مع مراحل تنفيذه، ويتطلب التقدم في التنفيذ وعدم التهدئة فقط وتضميد الجراح، في العديد من الأحياء ببريطانية وفرنسة يتم العمل وكأنه هناك طريقة مثالية دون تحديد الهدف المنشود بخصوص الشباب المسلم عدم الوضوح يوجد في القمّة.

جاك نيرنك:

أريد التدخل لأن هذا الشرخ ناتج عن الصعوبات التي يتخبط فيها بعض الأشخاص المتديّنين لكن ثقافتهم محدودة لذا فهم لا يعرفون كيف يتصرفون ويحافظون على عقيدتهم وتقاليدهم، ولا يعرفون ما هو المهم للمحافظة عليه، وما يجب التنازل عنه للتأقلم مع العادات والقوانين المحلية. لا يمكن الاندماج في مجتمع دون قبول عدد مهم من تقاليده وعاداته.

وهذا الوضع لا يخص الإسلام وحده؛ لأن مجتمعات أخرى تعيش الوضعية نفسها: لو نأخذ مثلاً بلجيكة هناك شبكة تعليم مزدوجة، تعليم

رسمي علماني مثل ما هو معول به في فرنسة لدى السلطات العمومية، و تعليم حرّ تحت رعاية الكنيسة المسيحية. هناك تساوٍ بين هذا وذاك، إذاً عندما شعرت الكنيسة في هذا البلد بأن مصالحها مهددة قامت بإعداد شبكة تعليم خاصة بها.

الوضعية نفسها موجودة بفرنسة حيث يوجد مجتمع مسيحي محدود قام بدوره بإنشاء شبكة تعليم خاصة به، أما سويسرة فتوجد مدارس خاصة باليهود ومدارس مسيحية خاصة بالمتطرفين (أوبو - دالي).

* مدارس إسلامية

جاك نيرنك:

ليس من الأفضل أخيراً أن تقوم الجالية الإسلامية المكونة من مواطنين فرنسيين بإنشاء مؤسسات لتمثلها وشبكة تعليمية خاصة بها، وبهذا تجد راحتها مثل غيرها؟ عندما يظهر الانحراف والجريمة في ضواحي ليون وسترازبورغ ومرسيليا لأن الحواجز الإسلامية التقليدية أزيلت، إن هذه الحواجز قوية ورادعة، أنظر إلى المملكة العربية السعودية لا يوجد بها منحرفون ولا مجرمون لأن العقوبة تسلط فوراً على مرتكبي أي جريمة، إذاً تم إزالة هذه العقوبات، بعض الشباب المسلم يفقد البوصلة كما يقولون. ماذا سيجد التلميذ المسلم في مدرسة علمانية؟ سوف يجد دروساً في علم الأخلاق والفلسفة لا تفيده بشيء ولا تساعده، لهذا لماذا لا توجد مدارس إسلامية؟

obeikan.com

طارق رمضان:

هناك تصوران اليوم لدى المسلمين... البعض يرى أن الحل الوحيد هو إنشاء مدارس إسلامية تسمح بحماية الطفل من أي انحراف وتلقنهم قيماً هي قيمهم.

أما الآخرون وأنا من بينهم نرى أنه يجب علينا التحلي بالحذر؛ لأن هذه المدارس وكيفية تصورها ربما ستخلق أحياء منعزلة أكثر فأكثر وتزيد من المشكلات ولا تحسّن الوضع الراهن بل سيزداد سوءاً.

مع ذلك سوف يتوقف الأمر على الأهداف المنشودة من هذه المدارس الإسلامية؛ لأن إنشاء هذه المدارس سوف يزيد من عزلتنا وبعدنا عن العالم، ويُحْدِث لنا تصدُّعاً في المستقبل عندما ينخرط الشباب في المجتمع، أما إذاً كان مشروع هذه المدارس مفتوحاً على من حولنا يفرض تنمية منسجمة مع المجتمع فهذا سيكون أفضل.

أما تقويمي للمجتمع الإسلامي بأوروبة اليوم فأنا أرى أننا بعيدون كل البعد عن إنشاء مدارس إسلامية ديناميكية ومفتوحة، فالكل يتصور مدارس إسلامية بعيدة عن الواقع الذي نعيشه، وهذا شيء خطير، فالتجربة الإنجليزية حيث توجد نحو سبعين مدرسة إسلامية لا تزال في أولها، هناك أشياء مهمة لكنها لا تزال تعاني من نقاط ضعف كثيرة خاصة وأن الكثير من الأولياء حمّلوا المدرسة أكثر من طاقتها (لأنها إسلامية)، والمشروع تم إعداده لأولاد الأثرياء لأن هناك مدرستين فقط تتلقيان المساعدة والبقية رسوم الدراسة فيها مرتفعة جداً مقارنة

بما تتقاضاه العائلات من رواتب ضعيفة، في هولندة أو السويد بلغت مساعدات الحكومة 75% من التكاليف لذلك فهي مفتوحة للجميع، لكن الملاحظ أن تسيير هذه المدارس قابل للمناقشة، الكثيرون يخلطون بين المدارس الإسلامية ومدارس البلد الذي قدموا منه، فهذه المدارس لا تلبي ما هو مطلوب منها، فالتسيير وطريقة التدريس دون المستوى المطلوب، ليومنا هذا لم يحصل لي شرف زيارة مدارس إسلامية ذات مناهج تثير الاهتمام: في السويد كانت لي مفاجأة سارة في إحدى المدارس الإسلامية التي تستقبل مسلمين وغير مسلمين، وتخوض تجربة جيدة يشارك فيها المدرسون والطلبة وتعد نموذجاً جيداً للتقرب أكثر فأكثر من المناهج المحلية، على الرغم من ذلك فأنا متحفظ حتى لو تم إنشاء مدارس إسلامية حديثة على الرغم من أن ذلك غير وارد في الوقت الحالي، يجب قبل كل شيء تجنب مدارس معزولة ينتج عنها أحياء تفرخ المنحرفين والمجرمين، المهم الآن هو إنشاء مدارس شبه تربوية لسببين... أولهما أن هذا التعليم سوف يفيد شريحة كبيرة من الشباب، وسوف يكون في متناول الجميع، ثانياً لأن المشكلة الحقيقية هي التكفل بتربية الشباب ومسايرتهم وتوجيههم، يجب التفكير في مراحل تتكفل بهم الجهات المحلية في مشروعات تربوية، ونشاطات رياضية ومبادرات ذات منفعة عامة.

أول عملية هي إزالة الصورة القاتمة التي تلاحق الشباب المسلم، من هنا تبدأ المقاطعة: من الضروري أن يكون المحيط مغرياً بالإضافة إلى من يتولى مهمة التسيير والمرافقة، من المهم أيضاً أن يقوم هؤلاء

بتغيير صورة الشباب ليمثلوا الشباب المسلم بصفة إيجابية ومتّزنة، يجب تحسيسهم بالمقدرة والمسؤولية والإفادة، يجب أن يشعروا أنهم قادرون على النجاح، قادرون على تحمل مسؤولية أي مشروع، مستعدون لإفادة الغير. كل هذا سوف ينمّي شخصيتهم ويقوّم هويتهم، يجب المرور بهذه المراحل بكل جدّية دون تقمص لعبة القط والفأر.

هناك سياسيون محليون لا يريدون منا أن نهتم بالجانب الثقافي والديني ومعاملتهم (مثل أي بلجيكي أو أي فرنسي) أنا أتفهم قصدهم لكن قبل أن يكونوا بلجيكيين أو فرنسيين فهؤلاء بشر ولا يمكن تربية أي شخص يتجاهل ذاكرته، وتاريخه وأصوله، لا نكون جمهوريين أكثر من اللازم حتى نفقد البصر ونصبح أغبياء، نحن لا ندّعي التبشير، لكن يجب الاهتمام بالجانب الديني لدى الشباب لأن الإسلام هو دينهم والثقافة العربية الاسلامية هي ثقافتهم الذاتية: يجب العمل على تغيير صورتهم والاهتمام بأبعادها بطريقة أو بأخرى، يجب التكلم باعتدال وهدوء وبصفة إيجابية.

بهذه الطريقة يمكنهم اختيار ماذا يريدون أن يصبحوا وفقاً للواقع الذي يعيشون فيه.

للأسف الطريقة التي نتصرف بها اليوم خاطئة لأن هناك كلاماً كثياً دون تأثير، ونلف وندور حول الموضوع لا نزيد المشكلات إلا تعقيداً، والجراح تتفاقم ولا تتلاءم لأننا لا نقدم إلى الشباب ما يسمح لهم بالتحرر، فنحن نحشرهم ونهمّشهم اجتماعياً وثقافياً، نتيجة ذلك

فشلهم مضمون، يجب مصالحة هؤلاء الشباب مع تاريخهم، وهذه مهمة الممثلين والسياسيين المحليين وهي في رأيي المرحلة الأولى لضمان مواطنتهم، فالمهمة لا تقتصر على تلقينهم دروساً في (العقيدة الإسلامية) بل يجب تلقينهم دروساً في الحضارة الإسلامية، وفي العلوم، والفن واللغة، والعادات والتقاليد المختلفة. يجب إعطاء أهمية لهذا التراث، وفي الوقت نفسه يجب الاهتمام بتربيتهم المدنية ومعرفة محيطهم وتاريخه، عمل هذا لا يمنعنا من عمل الآخر، بالعكس مهما بلغ ذلك من تناقض لأن نجاح العمل الأول يضمن نجاح العمل الثاني خاصة في الأوساط الفقيرة والمتصدّعة اجتماعياً.

إذاً قمنا بتغذية الذاكرة فسوف يواجهون حاضرهم بسهولة: أظن أنه إذاً زالت معالم الماضي سوف تزول حدود الحاضر بوعي أو دون وعي، وهذا هو الواقع الذي يعيشه الكثير من المسلمين، بعد هذا سوف تترابط الأشياء وتلتحم الأسس الخاصة بالمشاركة في التربية المدنية، هنا يجب الاهتمام بالمؤسسات وكيفية تسييرها وماذا يقول القانون، وما هي أنواع الانتخابات المختلفة مع تقديم شرح مفصل لها، الكثير من كوادر الجمعيات الإسلامية بدؤوا يستوعبون هذه المحاولات ويهتمون بها، فلا يترددون في مقابلة رئيس البلدية حول موضوع ما، كما لا يترددون في الدخول في شراكة وربط علاقات مع من حولهم، بالرغم من ذلك لا زال الحذر مطلوباً، لكنّ هناك تقدمٌ محسوسٌ في كل أوروبة، هناك شعور أن هذه المدة ما هي إلا مرحلة انتقال والأشياء تتغير جذرياً، فالمسلمون بدؤوا يأخذون مكانهم بأوروبة -حتى لو كانت

الأشياء تسير ببطء- وفي بعض الأحيان يبدو من دينامكيتهم أن هذا وعد منهم لاندماجهم مستقبلاً بصفة إيجابية.

إن تلقينهم دروساً في المواطنة هي أحد الأسس لإيجاد الحلول في المستقبل، ويجب التركيز على هذا الجانب لتحقيق هدفين: تهيئة المسلمين لتقبل لغة الحوار ومواجهة المجتمعات الأخرى وتنمية الإحساس بالانتماء إلى هذا المجتمع، العمل عن قرب أساسي بالإضافة إلى مبادرات الشراكة.

في فرنسة اليوم هناك مبادرة في ثماني عشرة مدينة تضم اتحادات فيدرالية علمانية ومنظمة التعليم التابعة للجمعيات الإسلامية المختلفة، بموجب هذه المبادرة تم إعداد برامج تدريب خاصة بالإسلام والعلمانية والمواطنة، فهذا عمل روّاد لكنه مهم جداً، قرر الجميع رجالاً ونساء الكف عن التجسس على بعضهم عبر منظار صغير ومن خلف منشور يشوه الصورة. قرر الجميع اللجوء إلى لغة الحوار والإعداد والاستعداد لشراكة خالصة وصارمة. أثناء سنتين كانت النتائج عظيمة، بالأمس كان الكثير منهم لا يؤمن إلا بالشك سواء كان جمهورياً علمانياً أو مسلماً.

أما اليوم فالكل يشعر أنهم يسلكون الطريق الصحيح، زال الشك وحلت الثقة ولغة الحوار محله وبدأ الجميع يشعر أنهم في مركب واحد: مركب المواطن الذي يتحلى بالمسؤولية ويريد أن يهدي إلى كل قلب وكل ضمير الوسائل التي تضمن وتحمي هويته، وتؤمن حريته واستقلاله، كلنا يجب أن نعمل معاً لإزالة الشكوك المسببة للشلل.

جاك نيرنك:

هذا صحيح، يجب على الجميع التعهد مبدئياً بمواصلة المهمة، يجب الخروج من هذا المأزق، إذاً اعتبرنا الجالية المسلمة بأوروبة وما هو هدفها، هدفها البقاء هنا وعدم الرجوع إلى بلدها الأصلي الذي غالباً ما يتسم بالعنف والصراعات والاضطهاد، أنا لا أتصور كردياً يعود إلى تركية، كما لا أتصور مواطناً من كوسوفو يعود إلى صربيا بمحض إرادته والابتسامة تكسو شفتيه؛ لأنه يعرف سلفاً أنه سوف لا يلاقي أي احترام في بلده الأصلي.

* في ظل علمانية تحترم الأديان

جاك نيرنك:

اليوم العلمانية لا تكتسي بثوب الحياد فقط بل هناك مسافة تفصل بينها وبين مختلف الديانات مثل ما هو حاصل في الولايات المتحدة، إن الفصل بين الدولة والكنيسة يعني تسامحاً كبيراً من طرف الحكومة الأمريكية تجاه مختلف الأديان، مثال على ذلك أن كل المنظمات الدينية معفاة من الضرائب، أما في فرنسة فالوضع مختلف، نوع العلمانية الموجودة في فرنسة يوجد في دول أخرى مع فرق بسيط مثل بلجيكة أو بعض المقاطعات السويسرية، لهذا من الممكن إيجاد بعض الخلافات، بعضها أساسية بالنسبة للمبادئ، فالقرآن مثله مثل التوراة والإنجيل لا يقبل المساس ببعض المبادئ.

obeikan.com

سوف أستشهد بمثال تاريخي، مثال معّبر للغاية: عندما تم إصدار قانون يسمح بالإجهاض في بلجيكة كان الملك بودوان هو الذي من المفروض أن يصدِّق على هذا القانون وإقراره لكنه حكَّم ضميره ولم يمضِ، كان سوف يغامر مغامرة كبيرة، لو تجاهل عقيدته من أجل السلطة التنفيذية ليتحّول بلده من ملكيّة إلى جمهورية، لكنه استطاع تخطي هذا الحاجز بشجاعة، هذا طبعاً مثال على الجانب المسيحي.

يمكن إيجاد أمثلة أخرى في أديان أخرى.

في الولايات المتحدة مثلاً طائفة (جيوفا) ترفض عملية التجنيد بالقرعة، والعديد من أنصارها تم الحكم عليهم بالأشغال الشاقة لسنين عديدة، هل يمكنك تقديم حالات مشابهة يحكم فيها المسلمون القرآن الكريم، لا يمكننا أن نعيش في عالم مفروش بالورود، فالمبائ الدينية موجودة لتوجيه الناس ووضع الواجبات الاجتماعية أمامهم.

هل تتصور مسلماً مواطناً لدولة يحكمها القانون يتمرد بمفرده أو مع جاليته وفي أي حالة؟

طارق رمضان:

لقد حاولت دراسة حالات محدودة في كتابي (أوربي مسلم) لأنني كنت أود التعرض إلى الجانب القانوني الأساسي. فبدا لي أن هناك أُفقين يقتربان من بعضهما لتسهيل الأشياء أكثر مما كنا نتصور.

لو ننظر إلى القوانين التشريعية الأوروبية فهي تكتسي بشيء من المرونة لتتيح خيارات كثيرة لكل شخص في التصرف وتسيير أعماله، ليس كل شيء خاضعاً للقانون فهناك شيء من حرية المناورة.

إذاً التفتنا الآن إلى القانون الإسلامي نلاحظ أن المرونة والتكيف من السمات التي تسهم في تطبيق القانون، إذاً وضعنا هاتين الحقيقتين جنباً إلى جنب ، واستخدمناهما معاً قد تزول الكثير من العقبات التي تبدو لنا مصدر خلاف، لما يتيح قانون بلد ما للمواطنين الفرصة لاختيار فرصة من بين فرص كثيرة، يجب في هذه الحالة على العلماء توجيه المواطن نحو الاختيار الأفضل: يحدث هذا مثلا عندما نكون أمام عقود تأمين مختلفة، وكذلك عندما نحاول صياغة عقد زواج أو عقد ميراث، هذا يتطلب دراسة معمّقة لقانون البلد المعني بالإضافة إلى القضاء حتى يتسنى لنا الاطلاع على سعة الاختيار المسموحة، لا يجب اللف حول القانون أو التلاعب بألفاظه ومعانيه، يجب إيجاد الحلول في حدود المجال المسموح به مع احترام حرية كل مواطن.

عندما نجد أنفسنا أمام قوانين ملزمة وفقاً لتشريع البلد مثل الاختيار بين عدة عقود تأمين التي تجبرنا على التحرك خارج القانون الإسلامي، في هذه الحالة ونادراً ما يحدث ذلك يجب اللجوء إلى الفتوى التي تحدد حلاً مؤقتاً أو نهائياً لهذه الحالة بالذات لأشخاص معينّين وفي بلد معيّن، الفتوى تصدر بحق حالة معيّنة ولا يمكن تصديرها إلى بلد آخر، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار درجة ضغط قانون بلد ما ومحاولة إيجاد إمكانية توافق بين القانون العلماني والمبادئ الإسلامية واختيار (الحل الأنسب) وهذه القاعدة معروفة في أساسيات القانون الإسلامي، بمعنى آخر إذاً واجهنا الحالتين معاً، وكان مجال الاختيار واسعاً وهناك حلول عدة، إذاً تجاوزنا ما ظهر منها وقمنا بدراسة القانون جيداً، فالمقصود أن تكون الدراسة دقيقة جداً وواضحة ومعقولة.

بالإضافة إلى ذلك يجب على كل جهة معرفة ما تريد، وعن أي شيء تتكلم، والواقع ليس دائماً هكذا، ومن جهة هناك أنصار العلمانية الذين يعبّرون عنها حسب ما فهموه، ويصورونها وفقاً لما يناسبهم.

بعيداً عن دراسة حقيقية للقانون العلماني أصبحت العلمانيّة سلاحاً موجهاً ضد أي ظاهرة دينية، لقد أصبحت تتدخل في أي شيء وصارت شبه مذهب حزباً مسلطاً على (المتدينين)، هذا انحراف خطير، لذا يجب وضع حدٍ لهذا التسلط وتحديد حدوده.

إذاً كانت العلمانية تعبرٌ عن حالة فلسفية لا تعطي أي أهمية للعقل فهذا بعيد كل البعد عن المناقشة التي تهمنا، هنا المقصود هو إطار قانوني مبني على النصوص والقضاء، هذه هي الجهات التي يجب الاعتماد عليها التي نثق بها وليس الأفكار الملفقة التي يعتمد عليها بعض أنصار العلمانية المعادية للأديان.

لا يجب أن ننجرّ إلى أرضية الرفض المذهبي، نحن نريد حلولاً لأشياء يحكمها القانون لذا يجب تحديد ميادينها.

أما المسلمون فمواقفهم لا تحتاج المناقشة، ولا هي دون أساس، الكثير لا يعرفون دينهم معرفة جيدة وينتهي بهم الأمر إلى خلط كل شيء، في تخيلهم لا يوجد أي فرق بين التعاليم الإسلامية، كلها متقاربة ومتساوية، فالصلاة في نظرهم لها أهمية الأذان نفسها، الصيام له أهمية النحر نفسها في عيد الأضحى، ولباس الملابس التقليدية له أهمية شروط الزواج نفسها، فأي شيء شرقي يعد بمنزلة شرط من

شروط الزواج، لكن هذا غير صحيح، يجب عدُّ درجات الالتزام وفقاً للتعاليم الإسلامية: أي التفريق بين ما هو مهم وما هو ثانوي، تحديد ما هو إلزامي وما هو قابل للتكيف. القضاء الإسلامي هو علم يعتمد على نظرية شاملة وواضحة، ولا تؤثر العواطف التي تؤثر في بعض المسلمين فيظنون أنه من المستحيل العيش هنا ما داموا يتمسكون بالإحساس أنهم غير مرغوب فيهم، وهذا الإحساس نفسه هو الذي يجبر المسلمين على الاستسلام والاستقالة: كل هذا خوفاً من الصورة التي يتخيلها فيها غيرهم، حتى إنهم ينادون بالتخلي عن أي نشاط إسلامي، خاصة تلك غير المعهودة من طرف الجانب الأوروبي، يتصرفون بشيء من البرودة حتى ينتهي بهم الأمر إلى ترديد ما يردده أنصار العلمانية المعادية أنفسهم: (هذا اللباس أو ذلك التصرف مخالف للعلمانية، لذا يجب على المسلمين التخلص والتجرّد منه) خوفاً من أعدائهم لعدم اعترافهم بهم اجتماعياً وسياسياً، يقومون بترديد أكاذيب العلمانية ويتجردون من مسؤولياتهم: عند تأمّلهم لما يواجههم وبعد دراسته يتأكدون أن العلمانية ليست ما يريده أولئك الذين يحاربونهم ويريدون خلق الفوضى لفرض أنفسهم على المجتمع.

لذا يجب التكفل بإجراء دراسة معمقة. أما الجمهور فيجب تزويد الطرفين المسلم والأوروبي بالمعلومات الكافية والواضحة، وما هو حاصل، وما يمكن حصوله أو عمله في البلد الذي نعيش فيه، كما يجب تعريفه بالإسلام، يجب اليوم نشر المعلومات على مستوى كبير لتغذية المعلومات القليلة التي كانت تنشر ليستفيد منها الجمهور اليوم

وفي المستقبل: على المواطن المسلم معرفة مؤسّسات بلده وقوانينها، كما يجب عليه معرفة المواطنين الآخرين ومختلف اتجاهاتهم الدينيّة وتركيبتهم، الذّكر والأنثى، كما يجب معرفة المجتمع الذي سوف يعيش فيه الأولاد مستقبلاً، تعهّد مثل هذا مبني على الأعمال المذكورة آنفاً هو الحل الوحيد لمواجهة التجمع الطائفي الذي نرفضه، نحن نعرف أهمية وضرورة الحفاظ على وحدة العقيدة والمجتمع الروحي، لا يمكن للمسلم التهرب من كل هذا، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، ولا علاقة لكل هذا في انتشار الأحياء الطائفية، والمساحات المعزولة أو القوانين الخاصة.

كل ما قلته بخصوص العمل القضائي الواضح الذي يجب أن نقوم به، بالإضافة إلى نشر المعلومات على مستوى واسع لإفادة الجمهور سوف يوجهنا عكس المجتمع الطائفي، نحن نريد مجتمعاً نتقابل فيه مع الغير ونتبادل الآراء ونتحاور باحترام وفقاً لمتطلبات مواطنين يعرفون بعضهم بعضا ويعترف كل واحد بالآخر لشخصه كما هو. اعتقاد هذا أو ذاك لا يتعارض مع الحوار والانفتاح، هناك خلط بين من هو (مقتنع) بالرغم من أنه (بليد)، هاتان العبارتان ليسا مترادفتين، ممكن أن تكون مقتنعاً ومتفتحاً في الوقت نفسه، كل شيء ممكن: هذا نوع من عزة النفس، ودليل على عمق الإنسانية، هذا ما يلزم تلقينه لأولادنا في مدارس العقيدة.

كلمة أخرى بخصوص السياسيين الذين يقولون شيئاً ويفعلون عكسه، من جهة يصرّحون أنهم ضد المجتمعات الطائفية، هذا شيء جميل، لكن من جهة أخرى عند بدء الانتخابات يشرعون في التقرب

من الشباب (أبناء المهاجرين) والشباب المسلم، ويضعون أسماء عربية ضمن القوائم، ويقدّمون وعوداً بالنظر في وضع المسلمين، كما يلوّحون بوعود أخرى لبناء مجسد، ويذهبون إلى أبعد الحدود، إذ يقولون إنهم سوف يقومون ببناء خمسة في حالة الفوز (في حالة الفوز بالطبع)، ما هي الغاية من هذه اللعبة؟ السعي وراء الأصوات ينسيهم أدنى إحساس بالمواطنة، أما هذا التصرف، كيف تريدون أن لا يشكل المسلمون «لوبي» مؤثراً لاقتناعهم بقوتهم وارتفاع عددهم، فلتُعطَ أصواتهم (لأكرمهم)، خطابات بعض السياسيين ذات حدين ولا تبشّر بخير.

أما بخصوص الانتخابات فنحن المسلمين لا نعرف إلا مبدأً واحداً، وقاعدة واحدة: يجب انتخاب من يتوافر فيه شرطان: الصدق والكفاية، سواء كان مسلماً أو غير مسلم، بمعنى آخر لا نمنح أصواتنا لمن يريد شراءها، الذين يتصرفون مثل من يريد اصطياد الحرباء، يجب على كل مواطن صادق أن يرفض هذه الانحرافات وعدم الاستلام لأن (هذه هي السياسة)، بالعقيدة والضمير سوف تستمر صحوتنا ويقظتنا.

* من العلمانية إلى الدنيوية

جاك نيرنك:

أريد إعادة السؤال نفسه... ولكن من زاوية مختلفة. نفرض أنه ليس هناك مشكلات لأن الدول الأوروبية متسامحة إلى أقصى الحدود ولا تبدي أي عداوة تجاه الفئات المتديّنة. شيئاً فشيئاً سوف نصل إلى هذه

الوضعية حينها سوف يقول المسيحي المتوسط: لست بحاجة إلى الدّين اليوم لأن الحكومة تؤدي مهامها كاملة وكل الخدمات التي كنا نتلقاها سابقاً من الكنيسة متوافرة، فالحكومة تؤمّن الأمن بوساطة الشرطة أفضل من إعطاء الدروس في الأخلاق إلى مرشحين لصوص، من قبل كان كل من تسوّل له نفسه أن يصبح منحرفاً يهدد أنه سيرهن سلامته مدى الحياة، أما التضامن مهمته هو إعادة توزيع الدخل بوساطة طريقة هائلة، أما الكنائس فلا دور لها إذاً في تولي مهمة التربية والتعليم؛ لأن الحكومة تتولى هذه المهمّة، لهذا أصبحنا نشعر أحياناً أنه لا حاجة للتصدّق مثل ما كان معمول به في كل الديانات.

العلمانية قلّصت من ولائنا إلى الكنيسة، أصبحت المجتمعات دنيوية بحتة، العديد من المهام التي كانت تعتمد على العقيدة الدينية وعلى الإيمان بالقيم العليا أصبحت تمارس يومياً من قبل الدولة، فمعظم الأوروبيين أصبحوا يعتقدون أنه لا داعي لوجود الدين، والدليل على ذلك موجود، فهم لا يمارسون أي دين.

ما تبقى في هذا المجتمع المادي قلة قليلة من المؤمنين، فالمسيحيون الذين يمارسون شعائرهم الدينية لا يمثلون إلا 10% من مجموع سكان الدول الغربية، فهؤلاء يعتقدون أنهم أصحاب قواعد ومعايير تسمح لهم بممارسة حياة مطبقة لما أراده الله، ولا يمكنهم المساس بهذه القواعد وهذه المعايير، لذلك لا زالت بعض العادات والتقاليد موجودة في العائلة.

مثل آخر رفضهم للإجهاض والمعالجة جينياً، واستنساخ البشر. أنا ممّن يعتقدون أن أي مجتمع ليس له دين، ولا يؤمن بالقيم العليا مصيره الهاوية.

* النواة الصّلبة للعقائد التوحيدية

جاك نيرنك:

إن كل مؤمن مهما كانت ديانته يعتقد أن هناك نواة صلبة لا يمكن التساهل فيها، وهذه النواة هي العامل المشترك بين المسيحيين واليهود والمسلمين؛ لأن الأديان الثلاثة تنادي بالتوحيد، وتأمر باحترام كرامة كل إنسان، بما إن هذه هي الحقيقة، وأن هناك مؤمنين يهوداً ومسيحيين ومسلمين يمارسون شعائرهم، يمكنهم في وقت ما التحالف لمحاربة كل الانحرافات غير الأخلاقية، مع أن الحضارة الحالية تتمتع بهندسة جينية هائلة، وبما إنها تفتقر إلى العقيدة والقانون فأنا أتساءل: ماذا سيحدث لهذه الحضارة؟ أعتقد أن مواد التجميل سيتم استخلاصها من جينات اصطناعية، سوف يتم التضحية بحياة افتراضية في سبيل مواد لإزالة التجاعيد، هل يمكنك تطبيق هذه النواة الصلبة التي يعتمد عليها كل المؤمنين في كفاحهم المشترك.

طارق رمضان:

العصر الحديث يجبرنا على التصدّي للتحديات معاً، أعتقد أنك على صواب في إشارتك لذلك، أنت تسير على درب (بيار دوفرزن) الذي

تحدّثت عنه كثيراً، من جهتي أنا أضع في الواجهة دائرتين يجب أن نركز معاً عليها ونعطيها كل ما نستطيع من مجهود، الأولى هي القيم الروحية: كل امرأة وكل رجل يريد المحافظة على هذه القيم سوف يعامل بقسوة ووحشية في هذه المجتمعات الحديثة، مع ذلك فهذا سهل جداً، كيف يمكن اليوم العيش والمحافظة على القيم الروحية وما بداخلنا، والتأمل وإعادة اكتشاف رمق الحياة؟ ذلك ليس بالسهل كما هو ليس بالسهل تبليغ ذلك إلى غيرنا، كيف يمكن تزويد أولادنا بمعنى الحياة الداخلية، مع الله ومع الآخرين.؟

الميدان الثاني هو التربية، يجب علينا معاً مواجهة هذا الميدان، التربية والتعلّم اليوم ليست مشكلة الوالدين والمدرسين معاً، بل مشكلة المجتمع الذي سوف يشترك فيه كل مواطن، يبدو أننا فقدنا الذاكرة لأن الزمن يلاحقنا، السرعة سلبتنا حريتنا، في كثير من الميادين (طريقة) التفكير حلت محل المعلومات، سوف ننتهي بالشعور بالحرية في جهلنا، الجهل هو أبشع سجن لأنه يوهمنا بحقيقة قضبانه الخفية، هذا صحيح في الميدان الديني حيث أصبحت مجتمعاتنا تنتج أميين في ميدان الدين وهذا منتشر في ميادين أخرى، أصبح الإنسان لا يعرف حتى تاريخه وثقافته وأصله، بالرغم من كل هذا نطلب من الناس التعرف إلى ثقافة الآخرين وفهمها، هذا فخ... يجب البحث في البرنامج المدرسي على أول تنازلات لليمين المتطرف بدل من البحث عن ذلك في الضواحي الفقيرة من المدن.

جاك نيرنك:

إذاً يجب المشاركة في المناهج التعليمية.

طارق رمضان:

هذا ضروري، لكن يجب أن يكون ذلك في العمق وبصفة بناءة، إن الخطابات السلبية الخاصة بالمدارس وقلة كفاية المدرسين ما هي إلا خطابات صادرة عن الكسلاء والانهزاميين، نود لو يصبح التعليم هو أهم شيء، الأب، والأم، والمساعد الاجتماعي، والمربي، وطبيب علم النفس، وحتى بواب المدرسة وأمين السر أحياناً.

مجتمعنا اليوم بحاجة إلى مواطنين قادرين على تحمل المسؤولية، يتم استثمارهم في المدارس التي هي كل شيء ما عدا مساحات مغلقة. التفاعل الإيجابي مع المجتمع يجب أن يتم تصوره من قبل الشعب، فالمدارس مراكز حياة داخل أماكن حياة، المجتمعات المحلية، الأولياء والمدرسون ملزمون بالعمل بانسجام وعدم تبادل رمي الكرة للبحث عن (المذنب)، نحن كلنا يجب أن نستثمر في ميدان التعليم إلى أبعد الحدود، من مساعدة العائلات حتى العمل الشبه مدرسي، وتكوين المواطن المخلص والارتباط المدرسي، لقد عملت عشر سنوات في العمل عن قرب، ولا أعرف مسالك أخرى. كلنا معاً بدل من ترك المدرسين يعملون في جهة والسياسيين في جهة أخرى، والعمال بين هذا وذاك، واليهود، والمسيحيون والمسلمون والمناصرون للآداب القديمة، كل يعمل بمفرده. لقد أخطأنا في الطريقة وأخطأنا في اختيار الشريك.

جاك نيرنك:

وحدة بين هؤلاء، بين مؤمنين توجب تكويناً دينياً مهماً في المدارس، يمكن القبول بوجود تعليم حكومي يوجد فيه الأطفال من كل الفئات الاجتماعية ومن كل الأديان، هذا شيء جميل لأنهم سوف يتعوّدون العيش في مجتمع متعدد الشعوب.

* تدريس الدّين

جاك نيرنك:

بالرغم من هذا يجب أن تشمل تربية الطفل بصفة عامة تربية دينية، ولا يجب أن تقتصر هذه التربية على ما يتعلمه الطفل في البيت، أو في حضانة خاصّة بالأطفال، بل يجب أن يكون لها مكان بالمدرسة، لتحظى باحترام الأطفال، ولكي يدرسونها بجدية، لذا يمكننا مطالبة التعليم العام بإضافة برامج دينية على كل المستويات، ويقوم بتدريس هذه المادة مدرسون معيّنون من كل طائفة دينية، كما تقوم هذه الطوائف بتنظيم وتسيير هذه الدروس.

طارق رمضان:

يجب أن تعامل هذه الأديان وتاريخها وأسسها بجدية، هذا هو المقصود طبعاً، ولتجنب انتشار الوثنية يجب الإسراع في تزويد الشباب الصغار والكبار ببعض التوضيحات، يجب إيجاد صيغة تعليمية لهذه المواد تسمح بالرجوع إلى بعض المعالم لاستدلال؛ لأن الذاكرة تفقد ولا

يبقى إلا القليل من التاريخ، وأساتذة اللغة الفرنسية والفلسفة مجبرون على تلفيق تفسيرات للنصوص لأن التلاميذ يفتقرون إلى المراجع، والشيء نفسه ينطبق على الجامعة: أنا أول من تفاجأ بذلك، كم من مرة كنت مجبراً على الإشارة إلى أحداث بسيطة يجهلها الكثير من الطلبة، يجهلونها جهلاً كاملاً، فالمدرسة ملزمة بالقيام بهذه المهمة، بطريقة أو بأخرى.

مجتمعاتنا المتعددة الثقافات تتطلب هذا النوع من التكوين الذي يؤمّن المعالم والمعرفة، والغاية من كل هذا فهم الأشياء واستيعابها، مرة أخرى لسنا بحاجة إلى تعليم ديني بل إلى دراسة أحداث ومراجع، لذا يجب أن يكون المدرسون الذين سيقومون بتدريس هذه المواد ذوي كفاية عالية، كما يجب أن يكونوا بيداغوجيين لا تقتصر معلوماتهم على دين دون الآخر ونقل، معلومات خيالية غريبة.

يجب أن يكون التعليم تعليماً علمياً معمقاً يحاول فيه الأساتذة إشراك التلاميذ في حوار مفتوح مع رجال الدين أو متخصصين في دراسة الأديان، يجب أن تكون هذه الدراسة دراسة موسّعة وتشمل دروساً تكوينية لكل الطلبة، اليوم هناك تلاميذ يتلقون هذا النوع من التعليم خارج ساعات التدريس المدرسي، هذا شيء جميل لكن الملاحظ أن الشباب الذين يتلقون هذه الدروس يعرفونها عبر ما تعلّموه في البيت، من الممكن أن هؤلاء كانوا بأمس الحاجة إليها أكثر من غيرهم، هذه الدروس إلزامية وكل من يعارضها بدعوى رفض (الوثنية) لا يبدون وثنيين (لجهلهم المطلق الكاذب والخطير)، مهما

كان مذهبنا وإيماننا، لا أعتقد أن هناك من يعارض التزود (بمعلومات أكثر، والتعمق أكثر) أما الحرية التي نستشهد بها كلما نتكلم عن متدين فهي أخت المعلومات، بينما نحن ننتج (جهلة حقيقيين)، بإمكاننا فيما بعد انتقاد الطوائف، بينما عدم تماسك تسييرنا والفراغات والنواقص التي تعتري تكويننا تمهّد الفراش.

جاك نيرنك:

يمكن أن نمارس أحسن التعدديّة الدينيّة إذاً كانت هذه التعدديّة محترّمة في المدرسة، من جهة يفترق الأولاد بعد دراسة دينهم، ومن جهة أخرى يتم إعادة جمعهم أحياناً ليتعرف كل واحد إلى دين الآخرين.

طارق رمضان:

يجب أن نجري بحثاً في العمق على مضمون هذا التكوين، لأن الآراء متضاربة والأحاسيس بلغت أشدها حول هذه المسألة، يجب التحلي بالحذر واحترام المراحل وإجراء حوار واضح حول الأهداف المنشودة، فالبعض يصرّح أن لا نهمل الروحانيية (في الداخل) والبعض الآخر يريد تدريس الأديان، أي تصورات نظرية لـ (أنظمة تفكيريّة) وأحداث تاريخية (وأهداف).

جاك نيرنك:

ولكن هذا لا يكفي.

طارق رمضان:

طبعاً بالنسبة للمؤمن هذا غير كاف، لكن يجب تقويم الأشياء واقتراح أشياء مكمّلة. فالمدرسة لا تستطيع عمل كل شيء، مثل ما قلت.. يجب أن نفكر في مساحات مساعدة تنطلق من العائلات والجمعيات المحلية، (الخطاب الديني) في المدرسة ليس هو الحل الأنسب للمشكلات التي تعيشها مجتمعاتنا، ولا يجب أن نتجه إلى دواء يقال إنه نافع لكل الأمراض، فالمسائل الخاصة بالهوية معقدة وتتطلب منا حلولاً مختلفة ومكمّلة كما تتطلب إعادة توزيع الأدوار على المشاركين في هذه المهمة الذين ينتمون إلى التركيبة الاجتماعية ابتداء من الفرد إلى العائلة، ومن العائلة إلى المجتمع، أما مسألة نقل القيم وتنمية سلوك المثقفين وسلوك المجتمع فهذا يجب معالجته من القمة.

ماذا نريد؟

هناك مسائل رفضنا طرحها منذ عشرات السنين تفرض علينا اليوم، لأنها تنبئ بحدوث كارثة، بالنسبة للمؤمنين كل هذه المسائل تسهم في بناء عقيدتهم: معنى الحياة والعرقية، والحسّ النقدي، والتضامن.

الشيء نفسه ينطبق على من يؤمن بالقيم العليا ويلتزم بها، معاً يجب التعهّد بطرح هذه المسائل وإثارة الحوار، والتدخل على مستوى المجتمع، والتربية، والسياسة والاقتصاد، وتقديم اقتراحات لتنمية استراتيجيات بديلة، وضعنا لا يفيده التلفيق وهذا ما كنا نفعله في أغلب الأحيان ونعدّه (إصلاحاً)، فهذه كانت مجرد عملية تنظيم أو تعديلات بسيطة على مستوى التسيير، لكن نحن بحاجة إلى إصلاح أساسي،

في العمق، عملية تجديد شاملة لأنها تخص الإنسان والعدالة، يجب أن تكون عملية إصلاح مثل ما أتصورها، لتنمية الضمير والانسلاخ من الماضي واقتراح على المستوى المحلي صيغة جديدة لهويتنا ووجودنا في العالم وتسيير أمورنا بأنفسنا، كل واحد منا يشارك بقيمه، وضميره، وتعهده في هذه الإصلاحات.

يجب أيضاً وبكل وضوح تقوية عزيمتنا للصمود في وجه أي انحراف والتسيير غير المنظم الذي لا يتحكم فيه الضمير، أنا لا أعرف المواطنة إلا في (الرّفض الملتزم) للمردودية والإنتاجية، إذاً كنت مع الله، فلا بد من اعتبار الإنسان أولاً، والإنسانية، والأخوة الإنسانية أخوة الوجود، خاصة إذاً أردنا العيش بأفكار مختلفة، العقيدة اليوم هي الزواج بين الروحية القوية والمقاومة الحازمة. هذا هو معنى (الشهادة) بالنسبة إلى المسلم، والغرب نفسه هو (ميدان هذه الشهادة) قلباً وذكاءً.

يجب أن نرفض بضمير عالماً دون ضمير، هذا هو معنى مقاومتنا، إن الرابطة الإسلامية اليوم نشطة جداً في أوروبة، وأظن أن مهمتها بعد تجاوز برودتها وعزلتها، هي استجواب كل إنسان، وكل الشركاء وكل الأفراد والمؤسسات، بخصوص إقامة حوار جديد لإنجاب مشروع مجتمع جديد برفض الوثنية ورفضها بوضوح وهذا لا يعني رفض الحوار والالتزام المشترك، انقسام المجتمع، ورفض الآخر، وتهميش الشباب والشيوخ يجبرنا على الرجوع إلى قيمنا، وكرامتنا والمطالبة بالعدالة الاجتماعية، يجب تذكير العالم بأن 17% من سكان العالم اغتصبوا 70% من ثروات العالم، وهذا ما لا يجعل العالم صافياً ومشرقاً،

فالأرقام نفسها توحي بالعنف الذي يسود العالم، عنف غير مسلح، ولكنه عنف شديد، عنف مدمّر وغير مقبول، الإنسان يتألم ويشتكي مثله مثل الطبيعة لأنها تعامل معاملة تفتقر إلى الكرامة والضمير، وهنا بدأت صحوة وتضامن الإنسان القوي الإرادة، تضامن كل إنسان ذي عقيدة ثابتة، وموهبة دينية، وقوة تحمل، وحضور دائم، يجب أن لا نستسلم أمام أي بساطة، وأي صور كاريكاتورية وأي إشاعات وأي حقارة.

كل ما نحمل أهمّ من الأوصاف التي ينعتنا بها الغير. البعض يتحدث عن ضيق عقولنا بالرغم من أنه لم يكلمنا أبداً، يتكلمون عن الانفتاح وهم منطوون على كفاياتهم. (يجب أن نتجاوز قصر نظرهم) ونتجاوز هؤلاء الخنازير، باسم كل امرأة وباسم كل رجل يعاني من التفرقة يومياً، وباسم كل من أهين يومياً لأنه يفتقد إلى مقومات المعيشة، وباسم من يعذبون في سجون العار والدكتاتوريات، باسم كل الشباب الذين لا ينتظرون من المستقبل إلا الفراغ، لا يمكن إضاعة الوقت أكثر من اللازم، يجب التحدي وتأكيد اعتقادنا الراسخ، وعدم الانغلاق، يجب أن نكون حازمين دون عنف، كما يجب أن نكون نشطين دون مضايقة.

نحن نعيش اليوم (شيئاً) من التوافق، حيث يبدو أن الانفتاح الوحيد يمر عبر شكوكنا (نحن فعلاً لا نعرف ولا نتكلم) و(لا نتلفظ بكلمة واحدة)... نحن نعيش شيئاً من الضغط (تقريباً) كما يقولون، نعيش في دكتاتورية مرنة، دكتاتورية (ممكن إيه ممكن لا) كل هذا مبني على حرية لا يتم التفريق بينها وبين التردد،كل هذا يزعجني لأن سيطرة التردد القانوني يعني السلطة المعرضة للاستسلام، يجب التحدي،

اليوم نحن معرضون للخطأ، يجب التكلم، والمساءلة، والاستجواب، وإعادة التنفس بقوة استعداداً لحوار حقيقي، حوار الاحترام المتبادل لمواجهة المسائل التي لها معنى، لمواجهة المشكلات في العمق.

أنا أحترم الشك، والبحوث، وأوقات الاستراحة اللازمة لأي شخص، كلنا نريد الحياة لإثبات وجودنا ولنتقدم، لكني أتأسف كثيراً عندما أشاهد أن هذه المسيرة أصبحت ضماناً للتكاسل الثقافي، والحكم على الآخر عبر مشاهدة التلفاز، أو نتحسّر على حالة العالم ونحن نتناول الجبن والحلويات أثناء الأكل، الكل فخور بنفسه فقط، والكل متأكد مما كان بالإمكان عمله مع العلم أنه سوف لا يتمكن من عمله أبداً، لكن لا شيء يزعج هؤلاء الحكام لأنهم سوف يشاركون في صلاة يوم الأحد، وسوف يشاركون في نسبة كل شيء حتى في السلطة المطلقة للموضة.

يبدو لي أن المهمة التي تعهدنا بإنجازها عبر هذا الكتاب هي خطوة في اتجاه آخر، أنت تعرف أنني مستاء أحياناً لرؤية بعض الأصدقاء المسيحيين خائفين من الحكم عليك فيخفون كل ما يؤمنون به، فلا يقدمون على أي شيء لأن الحياة تفرض عليهم أن يظهروا بمظهر (حديث) والمبادئ والدين لا يرحمان، أنا لا أظن أنهم سيتحملون مسؤوليتهم بهذه الطريقة: يجب على كل واحد أن لا يتردد للتعبير عما يؤمن به، والتمسك بعقيدته، وحياته الروحية وتطلعاته.

يجب أن نحيا ما نعتقد به، والتفتح للغير والمشاركة في كل المبادرات التي تسمح لمجتمعنا بإنتاج أفكار تعبر عن معتقداتنا الحقيقية، ومواقفنا الصادقة.

إذاً كان هؤلاء يخافون من الحكم عليهم، لذا يجب أن يلتزموا الصمت، ولا يعبروا عن شيء، وهذا يعني الانحطاط إلى درجة الصفر، وهذا ما عبر عنه (برتيس): أن الحكم الجديد هو حكم الإنسان المتستر. الأفضل الاختفاء نهائياً، التسامح في هذا الفراغ هو تصور فارغ، هو عبارة عن كلمة آلية للتعبير عن الإحساس الطيب، أنا أظن أن المستقبل سوف يتم بناءه من طرف أشخاص مقتنعين ومحترمين، مقتنعين بمعتقداتهم التي تساعدهم على التصدي لأي انحراف. سيقوم بذلك أشخاص أصحاب ضمير، والله شاهد على ما يفعلون.

* خفايا الأديان المتعددة

جاك نيرنك:

هناك آية قرآنية، فيها لغز عميق تقول ما يلي: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ سورة هود آية 118.

في هذه الآية بيداغوجية عظيمة وهي أنكم ستجدون أنفسكم في يوم ما أمام الله بالرغم اختلافكم.

نحن لم نصل بعد إلى هذا، أعتقد أنه يجب أن نتأقلم على الفروقات الموجودة ونتَّحد للدفاع عن نواة صلبة، لكن هناك طرق مختلفة لبلوغ هذه النواة، كلنا نشبه بعضنا لكننا لسنا مطابقين للأصل. يجب أن لا نتأسف بل يجب أن نفرح.

أليس صحيحاً أن تقول إن العقائد المختلفة تمارس على بعضها البعض ما يسمونه في الدير المسيحية (التأديب الأخوي)، ليقول كل

واحد للآخر وبصراحة دون تجريح ما يجده كل واحد مبالغاً فيه، أو أي خطأ تطبيقي مع قبول ما يصدر عن الآخر.

لقد قمت سابقاً بإجراء هذا (التأديب الأخوي) مع الاعتراف بالذنب مثل المسيحيين: هذه العقيدة عاشت مدة في شقاء، مع الشعور بالذنب والتشاؤم الروحي، ما وجدته بنّاء في المحادثات التي أجريناها هو طريقة الخروج؛ لأنه من الصعب جداً الخروج من الضلال، ضلال العقيدة، هناك انحرافات في كل الأديان، ولا يمارس أحد عقيدته بطريقة مثالية ونقية، حوار مثل هذا مع المسلم يجبرني على الطّهارة، طهارة العقيدة لتجنب ما حدث من انحراف في المسيحية.

هل تتصور مسلماً يحتك بمسيحيين شرفاء متمسكين بعقيدتهم كما يجب، وهل تتصور أن هذا المسلم سوف يتأثر إيجابياً إثر هذا الاحتكاك؟

طارق رمضان:

نعم حدث ذلك لأني عشت هذه التجربة، كم من واحد تعرفت إليه في الطريق وأنت واحد منهم، وقد علّمتني كيف أشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم، وقد بنيت علاقتنا على (التأديب الأخوي) الذي تحدثت عنه، لقد تعلمت التواضع والاهتمام أكثر وشيئاً آخر أهمله المسلمون، ألا وهو الحب، رسالة الإسلام قوية بحب الله وحب الآخرين، لكن كثيراً ما يهمل المسلمون هذا الإحساس واللجوء إلى الخطاب

المعياري، لقد أهداني أصدقائي المسيحيون مرآة تذكرني معنى هذا الحب، ومتطلباته، وقوته.

جاك نيرنك:

هناك مقولة خالدة لـ(أوجوستان): (يجب أن تحب وتفعل ما تريد).

طارق رمضان:

حقيقة لقد ذكروني أحياناً معنى الحب قلباً وقالباً، هذه رسالة قوية جداً يتسم بها الدين المسيحي والكثير من المسيحيين يشهدون بذلك في حياتهم اليومية، هي رسالة سامية مفعمة بالحب والتسامح والتقرب من الغير، فهي مرآة عظيمة ترفعنا إلى الأعلى بتذكيرها لنا ما هو أساسي، القانون في خدمة القلب، وليس العكس أي القلب في خدمة القانون.

هذه هي إحدى الرسائل المهمة التي ذكّرني فيها أصدقائي المسيحيون أثناء الطريق.

openkan.com